الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعـاد الانثـروبولـوجية في الحكاية الخرافية بمنطقة سوف – حكاية لونجا أنموذجاً -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

من إعداد :

- حدّي درويش.
- صبـاح قعيـد.
- كوكب سعدوني.

الأستاذ المشرف :

- د.خليفة قعيد.

لجـنـة المنـاقـشـة :

الرقم	أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة	مؤسسة الإنتماء
1	كمال بن عمر	الأستاذ الدكتور	رئيساً	جامعة حمه لخضر-الوادي
2	خليفة قعيد	الدكتور	مشرفاً	جامعة حمه لخضر-الوادي
3	نوال بومعزة	الأستاذة الدكتورة	مناقشاً	جامعة حمه لخضر-الوادي

الموسم الجامعي: 1445هـ/2024م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعـاد الانثـروبولـوجية في الحكاية الخرافية بمنطقة سوف – حكاية لونجا أنموذجاً -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

من إعداد :

- حـدِّي درويش.
- صبـاح قعيـد.
- كوكب سعدوني.

الأستاذ المشرف :

- د.خليفة قعيد.

لجـنــة المنــاقـشــة :

الرقم	أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة	مؤسسة الإنتماء
1	كمال بن عمر	الأستاذ الدكتور	رئيساً	جامعة حمه لخضر-الوادي
2	خليفة قعيد	الدكتور	مشرفاً	جامعة حمه لخضر-الوادي
3	نوال بومعزة	الأستاذة الدكتورة	مناقشاً	جامعة حمه لخضر-الوادي

الموسم الجامعي: 1445هـ/2024م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

الآية 32 من سورة البقرة .

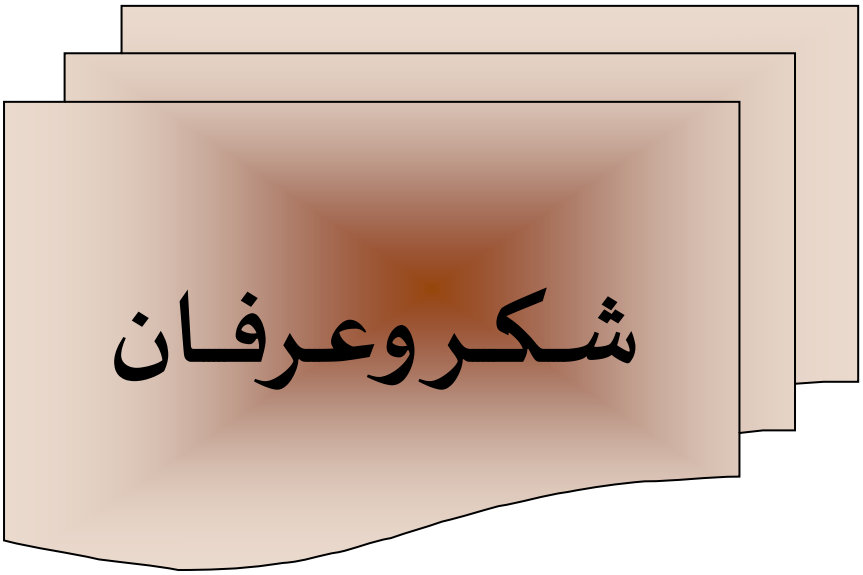
شکروعرفان

شكر وعرفان

انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

وعليه نتوجه بالشكر الجزيل لكل من آزرنا ودعمنا من قريب أو من بعيد

و نتقدم بجميل الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل " الدكتور قعيد خليفة "

كما لا ننسى شكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

الذين ساروا بنا في دروب العلم

لكم جميعا شكرنا و امتناننا

الإهـــداء

الحمد لله ونشكـره ونستعين به ونؤمن به وتتوكل عليه

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره أبدا

والدي العزيز ـ رحمه الله ـ

إلى من أخص الله الجنة تحت قدميها

والدتي العزيزة ـ أدام الله صحتها ـ

إلى إخوتي وأخواتي، كل بإسمه

إلى كل أساتذتنا الكرام و الأهل و الزملاء

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع..

درويش حدّي

الإهـــداء

إلى . . . . . عائلتي الكـريمة

إلى الأم . . . . الأرض

إلى الأب. . . . السماء

إلى إبنتي . . . . نجمتي

إلى حلمي وطموحي . . .

إلى أصدقائي . . .

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع..

قعيد صباح

الإهـــداء

أهدي ثمرة جهدي وإجتهادي

إلى غاليتي جدتي الحبيبة – أمدها الله بالصحة والعافية –

إلى والديَّ الكريمين اللذان فرحا لفرحي

إلى زوجي أدام الله مودته

إلى أبنائي "عبد الرحمان"، "محمد السعيد" و "رودينة" ، وأخص بالذكر إبنتي الكبرى "نسيبة" التي كانت لي نعم السند والمحفز والداعم أسأل الله العظيم أن يعطيها مما تتمنى ويوفقها في مشوارها الدراسي وإلى تحقيق طموحاتها .

إلى كل أساتذتنا الكرام و الأهل و الزملاء

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع..

سعدوني كوكب

مقدمة

إذا كان لابدّ من النهوض بالأدب الشعبي على غرار الأدب الرسمي، فهذا ليس بالأمر المستبعد أو المستحيل، فعجلة الولوج إليه والبحث فيه قد تحركت، فشهدت تحولات هامة لتشخيص مظاهره وتحديد منطلقاته التلقائية الصادرة من أفواه العامة بلغة الإبداع الشعبي بسيطة غير معقدة، تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة تعبيرا عن الظروف المعيشية والظواهر المحيطة به، وليدة مجموعة من التفاعلات والخبرات والأحاسيس.

ومع ظهور العولمة والتحولات العامة التي شهدها العالم، كان ولابد من الرجوع إلى ما يسمّى بالثقافة الشعبية التي يعد الأدب الشعبي أحد أبرز مظاهرها للحفاظ على كيان وماضي الأمة، وبناء حضارات الغد؛ فمن المستحيل أن نبني مستقبلاً دون ماضٍ يرتكز عليه ويستند إليه. وهنا اشتّدت السواعد لرسم معالم وحدود هذا الأدب.

وهاهو اليوم ومع المعارف الوافدة يحضى بفرصة البحث في طياته عن ما يسمى في الدراسات الحديثة بالأبعاد الأنثروبولوجية، ولا سيما إذا اقتّرن بالحكاية الخرافية التي تعد الحقل الخصيب لهذا العلم، فمثلّت منطقتنا سوف خير دليل على ذلك من خلال الحكايات الخرافية التي ترّوى فيها.

واخترنا حكاية" لونجا" كأنموذجاً لهذه الدراسة، ومن أبرز ما دفعنا إلى إنجاز هذا الموضوع، أسباب ذاتية وموضوعية:

- الميل الذاتي إلى موضوع الحكاية الخرافية .
- كشف ترسّبات الثقافات الأخرى في ثقافتنا المحلية السوفية.
- حب التفتيش والتنقيب عن المعلومات بغرض التثقيف.
- المحافظة على التراث الشعبي من الاندثار وصوّنه.

حيث ارتأينا طرح بعض الإشكاليات التالية :

-ماهي أبرز الأبعاد الأنثروبولوجية في حكاية لونجا على المستوى الأثنوغرافي والأثنولوجي؟ وماهي أهم تجلياتها من حيث الرواسب الثقافية والرموز الموظفة ؟ وماهية الحكاية الخرافية ؟ وماعلاقتها بالأنثروبولوجيا ؟ وفيم تتمثل الأبعاد الأنثروبولوجية المتجلية في الحكاية الخرافية السوفية "لونجا" ؟ وما هي أهم الرواسب الثقافية الموجودة في مدونة البحث؟ وما الرموز الموظّفة في حكايتنا ؟

وهدفنا من خلال هذه الدراسة إعادة إحياء الموروث الشعبي في ضوء الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة، حيث عثرنا على دراسات سابقة قاربت إلى حد ما إلى موضوع دراستنا منها: رسالة الماجستير للباحث : محمد بوذينة الموسومة " بالحكاية الخرافية السوفية مقاربة سيميائية".

ومذكرة ماستر بعنوان: المرأة في الحكاية الشعبية " حكاية لونجا " دراسة الأنثروبولوجية من إعداد الباحثة جهاد موساوي ومجموعة من الطالبات.

وكذلك كتاب للدكتور أحمد زغب" القراءة الأنثروبولوجية للأعمال الأدبية"؛ فهي أبحاث ساهمت في الحفاظ على الموروث والثقافة الشعبية من الضياع والاندثار.

وعليه فقد قسّمنا موضوع الدراسة إلى فصل تمهيدي فيه مدخل للموضوع، وإطار عام لمنطقة الدراسة من حيث الإطار الجغرافي والتاريخي والثقافي، وفصل أول قدّمنا فيه محتوى نظرياً وعنّوناه بالأنثروبولوجيا والحكاية الخرافية ويندرج تحته مبحثان؛ الأول خصصناه لمفاهيم عامة حول الأنثروبولوجيا ويتكون من ثلاثة مطالب؛ مطلب أول فيه مفهوم الأنثروبولوجيا، ومطلب ثاني أهداف الأنثروبولوجيا، ومطلب ثالث العلاقة بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى ومبحث ثاني عنوناه مفاهيم عامة حول الحكاية الخرافية؛ ويحتوي على ثلاثة مطالب الأول مفاهيم عامة حول الحكاية الخرافية ومطلب ثاني فيه خصائص الحكاية الخرافية ومطلب ثالث العلاقة بين الحكاية الخرافية والأنثروبولوجيا؛ أماالفصل الثاني كان فيه الدراسة التطبيقية للمدوّنة البحثية فعنوناه بحكاية لونجا من المنظور الأثنوغرافي والأثنولوجي في مبحثه الأول كانت الدراسة الأثنوغرافية لحكاية لونجا السوفية وينقسم إلى مطلبين الأول فيه نص الحكاية كما تروى في سوف؛ ومطلب ثاني فيه دراسة الأبعاد الأثنوغرافية للحكاية وأمّا عن المبحث الثاني فسمّيناه الدراسة الأنثروبولوجية لحكاية لونجا مكون من مطلبين الأول فيه مستوى الروّاسب الثقافية؛ ومطلب ثاني فيه المستوى الرمزي، ثم خاتمة جمعنا فيها العديد من الملاحظات والنتائج فكانت بمثابة حوصلة شاملة للبحث شملت كل فصوله ومباحثه انطلاقا من الدراسة النظرية إلى الدراسة التطبيقية للمدوّنة في فصلها الثاني .

إقتّضت طبيعة البحث الاستعانة بعدد من المناهج، فجاء المنهج التاريخي يسرد تاريخ المنطقة والحضارات التي تداولت على الحلول بترابها وأصل سكانها، ثم يأتي المنهج

الأنثروبولوجي في الفصل الثاني تطبيقاعلى أنموذج الدراسة مستعينين بآليتا الوصف والتحليل المناسبة لموضوع الدراسة، وتحليل نص الحكاية ووصف مدلولاتها ورموزها، معتمدّين على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

– الراوية التي أخذنا عنها أنموذج " حكاية لونجا " .

– الحكاية الخرافية لفريديريش فون ديرلاين، نشأتها ومناهج دراستها وفنيتها، ترجمة نبيلة ابراهيم.

– البطل الملحمي والبطل الضحية لعبد الحميد بورايو.

– مبادئ الأنثربولوجيا للدكتور : أحمد زغب .

وواجهتنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها :

– قلة المراجع التي تتطرق إلى الدراسة الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية.

– صعوبة استخراج والإلمام بالأبعاد الأنثروبولوجية المضمنة في الحكاية الخرافية.

– تعدد طرق رواية الحكاية –المدونة– من طرف الرّواة كلٌ على طريقته مع اختلاف وتباين لمكوناتها وعناصرها.

رغم ذلك حاولنا جاهدين تخطي تلك الصعوبات بتوفيق من اللهمن خلال :

– استعانتنا بكتاب لدكتور أحمد زغب .

– القراءة الأنثربولوجيا للأعمال الأدبية.

– والبحث المكثّف في المواقع والمكتبات الإلكترونية، وفي المجلات المتخصصة في الأنثروبولوجيا، والروّاسب الثقافية.

– السماع لعدة رواة للحصول على نماذج متقاربة أو موّحدة، فتحصلنا على ذلك بحمد الله وعونه.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وكثير الثّناء لكل من وقف مسانداً لنا ليخرج هذا البحث للنور، وأخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور: خليفة قعيد، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وملاحظاته القيّمة التي كانت في محلها، فنعم المعلم والمشرف، وكذلك جميع الأساتذة والدكاترة المحترمين في كل المقاييس طيلة مدة الدراسة، ولا ننسى الزملاء دون استثناء على كل مساعدة قدمت إلينا .

والجدير بالقول لو زيد من عمر هذا البحث ليوم أو يومين لقلنا لو غيرنا هذا لكان أحسن، ولو زدنا هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، وهذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

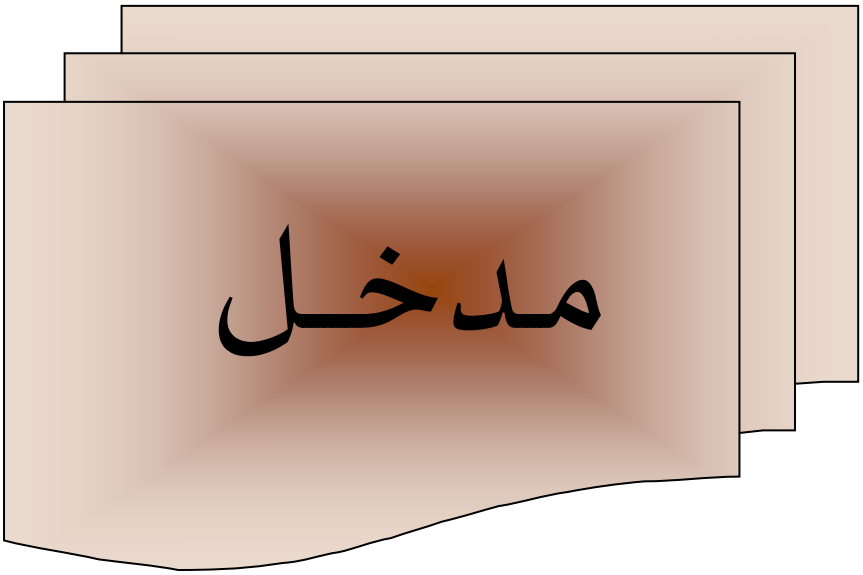
مدخل

يرتبط مصطلح الحكاية بمصطلح الأدب الشعبي ارتباطاً وثيقاً الذي يعّد :"عند أكثر الدارسين والمتذوقين أهم حلقة من حلقات التراث الشعبي[1]"، ويعرّف بأنّه كل الفنون القولية التي أبدعتها جماعة شعبية، وتم تناقله وتوارثه جيل عن جيل عن طريق الرواية الشفوية وبأنّه جزء مهم من تراث الأمم وذاكرتها وسجل خبراتها وإنجازاتها وحكمتها وإبداعاتها، وأداة التعبير عن فكرها ومعتقداتها وعاداتها .

وتعّد الحكاية الخرافية أبرز أشكال الأدب الشعبي القولي وجزء مهم من التراث الشعبي حيث تعكس قيّم وتقاليد ومعتقدات الشعوب؛ وغالبا ما تحمل رسائل تعليمية وأخلاقية وقيّم تربوية وتعليمية بأسلوب بسيط ومباشر، وتقدم رؤية فريدة وخالصة للعالم وللإنسان وتعلِّم الناس بالخير والشر، وتثري خيالهم وبفضلها يتم تعزيز الهوية الثقافية والروابط الإجتماعية داخل المجتمع .

وعند دراسة الحكاية الخرافية يصبح من الضروري استكشاف جوانب مختلفة تتعلق بالثقافة والتاريخ والتقاليد، وهنا يأتي دور الأنثروبولوجيا التي تعنى بدراسة الثقافات والمجتمعات البشرية بشكل شامل، ويركز إهتمامه على كائن واحد وهو الإنسان؛ ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثر فيه، ويساعد على البحث في المنتوج المادي والشفوي وفاعليتهما في التوازن الثقافي للفرد والمجتمع، داخل بيئته الضيّقة ليعبّر عن إحساسه تجاه المواقف المختلفة، وعن نظرته للحياة وكيفية التعامل مع المواقف والمستجدات ممّا يساعدنا على فهم كيفية تأثير الأدب الشعبي والحكايات الخرافية على تطور الحضارات والتراث الثقافي .

فالأدب الشعبي عامة والحكاية الخرافية خاصة يمثّلان حقلاً واسعاً للدراسات الأنثروبولوجية؛ فقد إهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة التراث الشعبي بجميع مظاهره الثقافية والعقائدية والدينية والنفسية، وأعطت تحليلا عميقا لعاداته وتقاليده وطقوسه وأدبه وأبعاده وتشمل هذه الأبعاد السياق الثقافي والإجتماعي والديني؛ الذي يؤثر على سلوك الإنسان وتفاعلاته في المجتمع وتساهم هذه الأبعاد في توضيح كيفية تشكيل الثقافات والمجتمعات وتأثير ذلك على حياة الإنسان، وبالتالي تصبح دراسة الأدب الشعبي والحكاية الخرافية من خلال عدسة الأنثروبولوجيا طريقة لاكتشاف العديد من جوانب الثقافة والتراث الإنساني.

[1]– عبد الحميد يونس،التراث الشعبي،دار المعارف،القاهرة،مصر،(د ط)،(د ت)،ص26 .

الفصل التمهيدي:

إيضاحات عامة حول منطقة الدراسة

1- الإطار الجغرافي :

تقع منطقة وادي سوف في الجنوب الشرقي من الجزائر، وهي تنتمي إلى العرق الشرقي الكبير، يحدها من الشمال إقليم الزَّاب (بسكرة والزرائب)، ويمتد حتى جبال الأوراس والنمامشة وإلى منطقة نقرين، ومن جهة الشرق الحدود التونسية عبر نفطة ونفزاوة، وبلدة نقرين التابعة لولاية تبسة؛ ومن الجنوب الحدود الليبية عبر واحات غدامس؛ ومن جهة الغرب تقرت وتماسين بمنطقة ورقلة[1].

وتذكر وثيقة المونوغرافيا الرسمية لولاية الوادي لسنة:2020 الصادرة عن مديرية التخطيط ومتابعة الميزانية بأنَّ مساحة الولاية تقدر بـ:44.586.80 كلم²، ويبلغ عدد السكان نحو 700 ألف نسمة موزعين على 22 بلدية[2].

وهذه الخصائص الجغرافية جعلت منطقة وادي سوف تتمتع بموقع إستراتيجي متميَّز حيث أنَّها تجاور دولتين هما تونس وليبيا، كما أنها محاطة بخمس ولايات هي: بسكرة، تبسة الجلفة، ورقلة وخنشلة، وهذا الموقع المتميَّز أكسب المنطقة أهمية تجارية وتاريخية[3].

وتعّد منطقة وادي سوف من المناطق الصحراوية الغنية بخيرات طبيعية كثيرة ويغلب على سطحها الكثبان الرملية، حيث تشَّكل الرمال ثلاث أرباع مساحتها الإجمالية؛ كما تتميز أراضيها بمياه جوفية ممَّا جعلها منطقة مميَّزة عن غيرها، فهي عوض أن يستخرج الماء من العمق واستعماله للسقي قاموا بحفر الأرض إلى غاية الوصول إلى عمق مستوى المياه الجوفية؛ حيث يغرس النخيل عند هذا المستوى؛ لذلك نجد واحات النخيل التقليدية عبارة عن منخفضات عميقة متسَّعة محاطة بالكثبان الرمليَّة الشاهقة، والتي أطلق عليها اسم "الغوط"[4]كما تعرف المنطقة بمناخها الصحراوي الجاف الذي يتميّز بشتائه البارد وصيفه الحار[5].

---

[1]– كمال بن عمر، الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)، مذكرة ماجستير، إشراف:د.معمر حجيج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2006–2007، ص16.

[2]- خليفة قعيد، تفعيل الثقافة الشعبية في التنمية المستدامة نموذج وادي سوف، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط) 2022، ص19 .

[3]– كمال بن عمر، المرجع السابق، ص16.

[4]– ينظر، المرجع نفسه، ص23.

[5]– خليفة قعيد، المرجع السابق، ص20 .

2- الإطـار التـاريخـي:

تشير المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ وادي سوف قبل الفتح الإسلامي إلى عدة أجناس كانت قد تعاقبت على هذه المنطقة على الرغم من طابعها الصحراوي وعزلتها. ولعل السر في ذلك موقعها الإستراتيجي المتميّز، "وسوف لم تكن مجرد مكان عبور،ولكنّها كانت مأهولة بسكان من عدة أجناس كانوا يمرون بها من كل الإتجاهات على ظهور الجمال".

ومن تلك الأجناس البربر الذين الذين سكنوا كل بلاد المغرب، ومن أواخر القبائل البربريّة التي دخلت أرض سوف قبيلة "زناتة" بفرقها الكثيرة التي منها:زوارة، زواغة، وبنويفرن وغيرها، وإنّ أكثر الأماكن الموجودة الى الآن تسمى بهم، ومن تلك الأماكن: تغزوت تكسبت..

وتذكر المصادر التاريخية أجناسا أخرى سكنت أرض سوف منها الفينيقيون[1]، والرومان الذين بنوا فيها عدة قرى وجدت آثارها منها في سندرس، وقمار،والرقيبة، وغرد الوصيف.

أمّا بعد الفتح الإسلامي تذكر المصادر التاريخية أنّ وادي سوف قد فتحت في عهد عقبة بن نافع الفهري الذي ولي أمر إفريقية في عام 46 هـ، وكان قد عيّن حسّانا بن النعمان على رأس جيش وأمره بالتوغل في المنطقة ما بين بسكرة وورقلة بما فيها منطقة سوف؛ وكان من بين سرايا المسلمين التي مكثت بالمنطقة تلّقن أهلها تعاليم الإسلام، البعض من بني عدوان فكونوا النوّاة الأولى لوجود قبيلة عدوان العربية بأرض سوف.

وكان وصول بني هلال إلى أرض سوف في حدود سنة 1051م على شكل دفعات متلاحقة، وإلتحقت الوفود الأخرى من بني عدوان حوالي 655 هـ-1258 م، وأسّسوا قرية الزقم، أما الطرود فقد دخلوا إلى الوادي عام 800 هـ-1398 م.

بناءا على ما تقدم يتبيّن لنا أن أكثر العروش والقبائل المشكلة لسكان وادي سوف حاليا تنتمي إلى طرود، وعدوان، وسليم، وهلال، ..؛ بيّد هذا لا ينفي وجود بعض العشائر المنحدرة من أصول بربرية مثل الجلايصة، وأولاد بوعافية، بالإضافة إلى وجود بعض الأقليات تعود إلى أصول مختلفة يسميهم العوامر بالأخلاط[2].

خلال العهد العثماني في الجزائر (1518-1830)، كانت وادي سوف تابعة-إداريـاً- لبايلك الشرق الجزائري وعاصمته قسنطينة؛ وظلّت على هذه الحال إلى حين دخول الإستعمار الفرنسي إلى المنطقة. وفي سنة 1854، دخل العقيد الفرنسي" ديفوDesvaux"

[1]- ينظر، كمال بن عمر، المرجع السابق، ص19-20 .

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص20-21 .

بقواته المسلحة إلى الوادي قادماً إليها من باتنة قصد إستطلاع الوضع العام، ....ولم يقبل سكان سوف بهذا الوضع الجديد، بل قاوموه مقاومة شديدة بشّن حروب عديدة، ولم تتمكن قوات الإحتلال الفرنسي من دخول أرض وادي سوف إلّا سنة 1882 عبر قرية الدبيلة، ولم تستطع الوصول إلى الوادي إلّا سنة 1887، ومن أبرز أبطال المقاومة الشعبية بوادي سوف "بوشوشة" الذي حارب الفرنسيين من عام 1870 إلى عام 1874. ثمّ إستمرت المقاومة بقيادة الهاشمي الشريف وابنه عبد العزيز، وأبرز محطاتها "هدة عميش" عام 1918. وأثناء الثورة التحريرة الكبرى، قام سكان سوف بواجبهم الوطني دعما ونصرة بأشكال مختلفة[1].

3- الإطـار الإجتماعي والثقـافـي :

مدينة ألف قبة و قبة هو الإسم الذي إشتهرت به منطقة وادي سوف، ففي فترة متأخرة من تـاريخ الإستعمار الفرنسي أطلقت السائحة الرَّحالة والأديبـة السـويسرية ذات الأصـل الروسي" إيزابيل أبرهادت ماري" على مدينة وادي سوف تسمية ألف قبة والتي عشقتها وعاشت فيها فترة من حياتها[2]، بحيث عندما كانت في زيارة إستطلاعية للمدينة صعدت إلى منارة مسجـد سيـدي سالـم بحـي الأعشـاش، وعندما رأت منظر المنطقة من الأعلى إندهشتوإنبهرت لروعة ذلك الشكل الهندسي المعماري الذي يعلو سطوح المنازل والذي يمثَّل على شكل الآلاف من القباب المتجاورة مع بعضها البعض ومن ثمَّ أطلقت هذا الإسم عليها[3].

ووادي سوف إسم مركب من كلمتين « وادي » و« سوف »، ولكل واحد من الإسمين معنى ودلالة خاصة به.

وترجع تسمية إسم الوادي إلى أنَّ منطقة وادي سوف كان يمر بها نهر غزير، ويقطع المنطقة من الشمال إلى الجنوب، ويسمى هذا النهر بـ "وادي أزوف"، ويعني خرير المياه وتغير هذا الإسم بعد دخول الإسلام إلى المنطقة و أصبح " وادي سوف "[4].

---

[1]- ينظر، كمال بن عمر، المرجع السابق، ص22-23 .

[2]- المرجع نفسه، ص24 .

[3]- ينظر، مباركة عماري، اللهجة والمجتمع إنعكاس النظم الإجتماعية والثقافية في وادي سوف، أطروحة دوكتوراه تخصص لسانيات عامة،إشرافد.أحمد زغب، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2020-2021، ص18 .

[4]-ينظر،عمار عوادي،الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف 1918-1957،مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، ط1، 2011،ص19 .

ويروى أيضاً أنَّ أصل تسمية الوادي جاءت نسبة لأصله الذين كانوا لا يهدؤون ولا يسكنون بل يتحركون دائما، إمّا لسفر أو الظغن (الرحيل)، فشبهوهم بجريان الماء في محله المسمى واديا[1].

وقيل أيضاً أنَّ معناه يعود لقبيلة عربية من شبه الجزيرة العربية تسمى قبيلة طرود، لمَّا قدمت للمنطقة في حدود عام(690هـ-1292م)، أطلقوا عليهم إسم الوادي، حيث شاهدوا كيف تسوق الرياح التراب، فقالوا إنَّ تراب هذه الجهة يشبه الوادي في جريانه[2].

أمّاأصل تسميتها بـ"سوف" فله عدة آراء من بينها :

- معنى سوف " وتعني النهر المائي الذي تداولته الأساطير، كان يجري بالمنطقة من الشمال نحو الجنوب ويدعى "واد أزوف" "Oued Izouf" أي النهر الزقزاق والذي غار في أعماق الأرض، ولم يبق إلّا مكانه، فتغير إسمه إلى وادي سوف"[3].
- تسمى أرض سوف لأنها كانت محلاً لأهل الصوفة لأن كل عابد من أهل التّصوّف ينقطع للعبادة فيها.
- وقيل سميَّت بذلك لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم.
- وقيل كان بها رجل عليم أي صاحب حكمة يسمى "ذا السوف"، فسميت هذه الأرض به، والسوف في اللغة معناه العلم أو الحكمة.
- وجاء في تغريبة بني هلال : قيل إنَّ اهل سوف حين دخلت العرب إفريقيا دخلوها وسوف التي ذكرها هي المكان المعروف الآن سوف البصرة بقرب مدينة حلب الشام فلعلَّهم أتّـوا إلى هذه الأرض فسميَّت بهم[4].

---

[1]- ينظر، إبراهيم محمد الساسي العوامر،الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،تع:الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2007، ص109.

[2]- ينظر، محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، ط1 2012، ص09 .

[3] -Andre Voisin- Le Souf Monographie dune region saharienne _Paris_1985_ Manuscrit_ P03.

[4]- ابرهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص42 .

- وقيل أنَّ هذه التسمية حدثت له في زمن نزول طرود به؛ حيث قيل بأنَّه حين أتى الطرود إلى هذه النواحي قالوا نسكن تلك السيوف، أي الأحقاف والكثبان والرمل والسيوف جمع سيف أي الكثيب من الرمل، فحذفت الياء لكثرة الإستعمال وتداول أول ألسنة العامة عليها، مع عدم محافظته على أصول الكلمات فصار الذاهب والآتي يقول : ذاهب إلى سوف أو كنت في سوف[1].

والثقافة الشعبية هي مزج بين الثقافتين الروحية والمادية، وعادات وتقاليد أي مجتمع تعتبر نتاجاً إجتماعياً ثقافياً، أي من إنتاج أفراد المجتمع؛ فهي تعبر عن ثقافته التي توارثها جيلاً عن جيل .

ويتميز المجتمع السوفي بالكثير من العادات والتقاليد التي ترسّبت عبر قرون عديدة، ربما جاء البعض منها عن طريق الفتوحات الإسلامية والرحلات الهلالية للمنطقة، ومن هذه العادات والتقاليد مناسبات الزواج والولادة والختان والوفاة .

كما نجد النظام الإجتماعي السوفي يقوم على مبادئ وأعراف من بينها:

الأسرة: هي الخلية الأساسية لبناء المجتمع، ولضمان سلامة هذه الخلية يجب أن ننظر إلى قائدها الأول وهو رب الأسرة، وقد يكون الجد، الآن جرت العادة بتجمع الأسرة حتى تصل الأحفاد، حيث جميعا يضلهم سقف واحد، ونعني بذلك أنها تنتمي إلى العائلة الممتدة حيث تتكون الأسرة الممتدة من ثلاثة أجيال الأب والأم يمثلون الجيل الأول، وأبناؤهم المتزوجون يمثلون الجيل الثاني، وحفدتهم أطفال الأبناء يمثلون الجيل الثالث، وتبقى الأسرة متماسكة مدة طويلة ولا تفقد هاته السمة إلا بعد عجز الأب أو وفاته، وهذا ما يمكن الجد والجدة من رواية الحكايات والقصص على الأحفاد.

العائلة أو العرش: فهي مجموعة من الأسر تشترك في اللقب أو تشترك في الجد وتختلف في اللقب، ويقودها شيخ العرش معنوياً لكونه أرجحهم عقلاً وأرشدهم رأياً[2].

وككّل منطقة من المناطق الجزائرية تميّزت وادي سوف بالنشاطات الثقافية التي تعكس هوية المجتمع ومن أهم هاته النشاطات الأدب الشعبي؛ فالأدب الشعبي في وادي سوف يتميز بالثراء والتنوع على مستوى أجناسه وموضوعاته، ولقد صوّر بيئته في شتّى تجليَّاتها

[1]– خليفة قعيد، المرجع السابق، ص23 .

[2]– أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا(علم الإنسان)، مطبعة سخري، الوادي،الجزائر، ط1، 2012، ص87.

الجغرافية والتاريخية والدينية والإجتماعية وغيرها؛ تصويراً حياً يكشف عن الخصائص الفكرية والنفسية للطبقات الشعبية التي تتداولّه إبداعاً وروايةً وتلقيّاً.

ومن أهم أجناس الأدب الشعبي بمنطقة وادي سوف الحكايات الخرافية فهي تحتوي في فضاءاتها السرديّة أبرز المعتقدات والقيّم والعادات التي كانت سائدة في أوساط أهل سوف كالإعتقاد في كرامات الأولياء والصّالحين وتأثير الجن والسحر وسائر الكائنات والقوى الغيبية على الإنسان[1].

والحكايات الخرافية المتداولة في وادي سوف عديدة ومتنوعة من بينها حكاية " لونجا" الخرافية التي هي محل دراستنا.

[1]– ينظر،خليفة قعيد، المرجع السابق، ص41–42.

الفصل الأول :

الأنثروبولوجيا والحكاية الخرافيـة.

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الأنثروبولوجيا

تمهيد:

يجمع الباحثون أنَّ الأنثروبولوجيا علم حديث العهد، إذّا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والطب والفلك وغيرها من العلوم، إلَّا أنَّ البحث في شؤون الإنسان والمجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان في حد ذاته، فبدأ يسعى للتفاعل الإيجابي مع بيئته الطبيعية والإجتماعية، ولقد عمل العلماء والفلاسفة في كل زمان ومكان عبر التاريخ الإنساني على وضع نظريات عن طبيعة المجتمعات البشرية، وما يدخل في نسيجها وأبنيتها من دين أو سلالة، ويعتبر علم الأنثروبولوجيا أحد العلوم الحديثة التي ساهمت بشكل كبير في دراسة حياة الأنسان من النواحي الإجتماعية والثقافية.

المطلب الأول: مفهوم الأنثروبولوجيا

أ-لغة :

إنَّ لفظة أنثروبولوجيا Anthropology هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين:anthroposانثربوس أي الإنسان والثاني Locos[1]؛ ومعناه العلم أو الدراسة؛ ومعنى ذلك أن ترجمة إسم هذا العلم هو "علم الإنسان" أو "دراسة الإنسان"[2].

ب-إصطلاحا :

تعرَّف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق إجتماعية في ظل ثقافة معينة ...، ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة[3].

وتعرفها" مرجريت ميد " Margeretmeed "(1901-1978) بقولها :« نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كإنسان مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الإجتماعية والتكنولوجيا »[4] .

1- عيسى الشماس،مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)،موقع إتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا،(د ط)،2004، ص12.

2- محمد الجوهري-علياء شكري، مقدمة في دراسة الانثربولوجيا، القاهرة،مصر، (دط)،2007، ص14.

3- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص ن .

4- حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا(فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة، (دط)، 1986، ص 13-14.

ونجد إدوارد تايلور " Edward Brunett Tylor" (1833-1917م) يعرف الأنثروبولوجيا بقوله : « هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ يحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة إجتماعية »[1].

ويعرِّفها الدكتور أحمد زغب في كتابه مبادئ الأنثروبولوجيا " الأنثروبولوجيا في الواقع ليست مجرد دراسة بيولوجية للإنسان، فهي تتناول دراسة الإنسان وكل أعماله فالأنثروبولوجيا بمعناها الكامل تدرس علم السلالات والعادات والإنتاج الإنساني أيّاً كان"[2].

أمّا الدكتور شاكر سليم فيعرِّفها في كتابه قاموس الأنثروبولوجيا :" أنَّ الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا وإجتماعيا وحضارياً "[3].

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة الإنسان في أبعاده المختلفة البيوفيزيائية والإجتماعية والثقافية؛ فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض إختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري، والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الإجتماعية من سياسية وإقتصادية وقرابية ودينية وقانونية وما إليها، وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني؛ بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية، وهذا يتوافق مع تعريف تايلور الذي يرى أن الأنثروبولوجيا هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة إجتماعية، وبهذا المعنى تتناول الإنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان[4].

وإستناداً إلى مفهوم الانثروبولوجيا، فإنّ دراستها تحقّق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية:

---

[1] - عيسى الشماس، المرجع السابق، ص 9.

[2]- أحمد زغب، المرجع السابق، ص07 .

[3]-حسين فهيم، المرجع السابق، ص17 .

[4]- عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص13 .

1- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليوميّة.

تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان : (بدائي- زراعي- صناعي-معرفي-تكنولوجي).

3- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية .. وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغييرالمختلفة.

4- إستنتاج المؤشّرات والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/الحضارية التي تتمّم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة[1].

إنّ اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلّها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقاً أساسياً في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها؛ ولكن على الرغم من التوسّع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولاسيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤّكد ولا شك، تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى، ولاسيّما علم الاجتماع.

ومن هنا كانت أهميّة الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها بعيداً عن التعصّب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا، بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوّره الثقافي / الحضاري، فإنّ أهمّ ما أثبته هو أنّ الشعوب البشرية بأجناسها المتعدّدة، تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسية، ولاسيّما في النواحي العضوية والحيوية[2].

---

[1]- عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص15

[2]- المرجع نفسه، ص16 .

المطلب الثاني : فـروع الأنثروبولوجيا :

1- الأنثروبولوجيا الأمريكية :

- **الأنثروبولوجيا الطبيعية :**

هي هذا العلم الذي يهتم بدراسة الجانب العضوي(الحيوي) للإنسان، منذ نشأته كنوع حيواني على سطح الأرض، أي أنّها تتناول الإنسان الفرد بإعتباره محصلة عملية عضوية وهي تهتم بدراسة الإنسان من حيث سماته الجسمانية والتشريحية؛ مثل شكل الجمجمة وطول القامة، ولون البشرة،..،وتحاول الإجابة على عدد من التساؤلات، من مثل أين ومتى ظهرت الكائنات الحيّة الأولى على وجه الأرض، وماهي صفاتها وأنواعها،..

ويعتقد علماء للأنثروبولوجيا الطبيعية بتطور الإنسان العاقل (Homo sapuens) من أجناس بشرية أخرى سابقة(رئيسيات primates) يمكن التعرف عليها عن طريق الحفريات وقد تطورت الأنثروبولوجيا الطبيعية بسبب التطور الحاصل في البيولوجيا وتدخل التكنولوجيا في المساعدة على الإكتشاف وقياس دقائق الأمور كالجينات الوراثية مثلا وفصيلة الدم؛ ومن أهم التطورات في الأنثروبولوجيا الطبيعية الإهتمام بدراسة العلاقة بين شكل الجسم وشكل الأداء الوظيفي البيولوجي والثقافي[1].

- **الأنثروبولوجيا الثقافية الإجتماعية :**

تعرف النثروبولوجيا الثقافية–بوجه عام– بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معيّنة، وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكا يتوافق مع سلوك الأفرادفي المجتمع (الجماعة) المحيطة به، يتحلى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه بلغة قومه. ويركز على دراسة حياة الجماعات البدائية كما تبدو من خلال التفاعل الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية بين أفرادها وتنظيماتها الإجتماعية المختلفة[2].

وتدرس مخترعات الشعوب البدائية، وأدواتها وأجهزتها، وطرز مساكنها وأنواع الألبسة التي تلبسها والزينة التي تستعملها وفنونها وآدابها وقصصها وخرافاتها وأساطيرها، ويعتبرها البريطانيون جزءا من الأنثروبولوجيا الإجتماعية.

---

[1]– ينظر، أحمد زغب، المرجع السابق، ص35–38 .

[2]– عيسى الشماس، المرجع السابق، ص93.

فهي تدرس الإنتاج المـادي والـروحي للشعـوب البدائيـة،كما تدرس الإستعـارة الحضاريـة و التطور الحضاري والتغير الإجتماعـي في تلـك الشعـوب، وتدرس أصول الحضـارة وتنوعها وإنتشارها[1]. ولذلك فإن الأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة. فهي تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها ودراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي،وتحديد الخصائص المشابهة بين الثقافات، وتفسّر بالتالي المراحل التطوريّة لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن[2] وتركز على دراسة حياة الجماعات البدائية كما تبدو من خلال التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها وتنظيماتها الاجتماعية المختلفة[3].

وهذا يدخل –إلى حد بعيد– فيما يسمّى (علم اجتماع الثقافة) والذي يعني تحليل طبيعة العلاقة بين الموجود من أنماط الإنتاج الفكري، ومعطيات البنية الاجتماعية[4].

- **الأنـثروبولـوجيا اللغويــة(Anthropologie linguistique):**

علم اللغويات هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة ولاسيّما المكتوبة منها في السجلات التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة ...

ويهتم دارسوا اللّغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاءاً ناقلاً للثقافة.

إنّ اللغة من الصفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيّة الأخرى فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متّفق عليها، ويمكن تعلّمها...علاوة على أنها وسيلة لنقل التراث الثقافي/الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث.

ويدرس علماء الأنثروبولوجيا اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي في المكان والزمان،.. وإختلافات اللغة ليكتشفوا الإدراكات والنماذج الفكرية المختلفة في عدد وافر من الحضارات[5].

---

[1]– ينظر، أحمد زغب، المرجع السابق، ص9 .

[2]– عيسى الشماس، المرجع السابق، ص 93.

[3]– ينظر، أحمد زغب، المرجع السابق، ص9 .

[4]- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص ن.

[5]- ينظر، المرجع نفسه، ص99.

- **علـم الآثــار :**

التعريف الإشتقاقي : بالفرنسية (Archéologie) مشتقة من الكلمة الإغريقية (Archéologia) ومعناها ذلك العلم الذي يهتم بكل ما هو قديم[1].

أما **التعريف الإصطلاحي:** " فهو علم يهتم بالأشياء القديمة، وبالخصوص الفنون والآثار القديمة"[2]، ويعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدل منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة وليس ثمّة وثائق مدونة (مكتوبة) عنها، ويبحث في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة؛ ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعا بين فروع الأنثروبولوجيا وربما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى، ومثال ذلك أنّ إسم (توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين يكاد يكون معروفا لدى الأوساط الشعبية العامة .

فعالم الآثار يعتمد في دراسته على البقايا التي خلّفها الإنسان القديم والتي تمّثل طبيعة ثقافاته وعناصرها، وقد توّصل علماء الآثار إلى أساليب ومناهج دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوّقع وجود بقايا حضارية فيها لفحص تلك البقايا، وتصنيفها من أجل التعرّف عليها ومن ثمّ مقارنتها بعضها مع بعض؛ ويستطيع علماء الآثار بإستخدام تلك المناهج إستخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّراتها، وعلاقة كل منها بغيرها.

فعلم الآثار إذاً؛ يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيّرات ثقافية، في محاولة لبناء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ[3].

2- الأنثروبولوجيا الأوروبية :

- **الإثنوغـرافيـا (Ethnography) :**

إنَّ كلمة أثنوغرافيا مأخوذة من الكلمة اليونانية (Ethnos) وتعني العرق والجنس أما المقطع الثاني من الكلمة (Graphy) فيعني علم وصف، وبالتالي فهي علم وصف الإنسان وتعرّف بأنّها الدراسة الوصفية لثقافة وحياة الشعوب أو مجتمع من المجتمعات،وهي الدراسة

[1]-Russ Jacqueline,Dictionnaire de philosophie,bordas,2004,p28.

[2]- مصطفى تيلوين،مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي،(د ط)،(د ت)، ص42.

[3]- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص103-104 .

التحليلية للمجموعات العرقية المعاصرة (دراسة تلك المجموعات المادية والإجتماعية واللغوية)، وهي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان ووصف النشاط الثقافي كما يبدوكما أنّها البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الانثروبولوجيا لأسلوب الحياة وبمجموعة التقاليد والعادات وأصناف التراث الخاص بالشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية؛ وبالرغم من أن الأثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والانثربولوجي الإجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية؛ فإن هناك ارتباطاً وتداخلاً وثيقاً بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها[1].

- **الأثنولوجيا :**

إن كلمة الأثنولوجيا ذات أصل يوناني(Ethnos) بمعنى دراسة الشعوب؛ وهي الدراسة المقارنة لأوجه الإختلاف والإتفاق بين الحضارات لإستنباط تعميمات حول أصولها وتطورها وتنوعها[2]، وتعنى بدراسة الثقافات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافات وإنتشارها وخصائص كل منها، كما تدرسها على أسس مقارنة في ضوء نظريات علمية بقصد إستنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطورها وأوجه الإختلاف بينها وتحليل إنتشارها تحليلا تاريخيا.

واتفق العلماء على أنّ الأثنولوجيا تجمع بين الوصف(إثنوغرافيا) والمقارنة، فالأثنولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافات التي وصفها الإثنوغرافي؛ ويهدف الإثنولوجي إلى تصنيف الثقافات إلى مجموعات أو أشكال على أساس مقاييس عامة.

والأثنوغرافيا والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا لا تشكل ثلاثة علوم مختلفة؛ بل مراحل متتابعة وبشكل أدق ثلاثة تصوّرات مختلفة لبحث واحد، يقول توماس بينمانT.Penniman إنّ هدف الأنثروبولوجيا جميعا هو أن تثري معلوماتنا الإثنولوجية؛ وتضيف إليها حتى تساعدنا على فهم الناس في أوضاعهم الحالية والكيفية التي إنتهت بهم إلى هذا الوضع[3].

---

[1]– مريم دهان، مجلة تاريخ العلوم المقاربة الأثنوغرافية تعريفها مميزاتها تقنياتها وعلاقتها بدراسة الجمهور،جامعة الجزائر03، ع 08، ج1،جوان 2017، ص 32.

[2]– أحمد زغب، المرجع السابق، ص9–10 .

[3]– أحمد زغب، المرجع السابق، ص46–47.

المطلب الثالث :علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى :

على الرغم من الإعتراف بالأنثروبولوجيا كعلم مستقل بذاته، يدرس الإنسان من حيث نشأته وتطوره وثقافته، فما زال العلماء ولاسيما علماء الإنسان يختلفون حول تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة، فيرى بعضهم أنه من العلوم الإجتماعية كعلم النفس والإجتماع والتاريخ والسياسة، ويرى بعضهم أيضاأنه من العلوم التطبيقية كالرياضيات والفلك، بينما يرى بعضهم الآخر أنه من العلوم الإنسانية كالفلسفة والفنون والديانات..، لكن هذه العلوم كلها دخلت على مر التاريخ الثقافي لشعب ما إلى جسد هذه الثقافة، وأصبحت جزءا منها ومكوناً من مكوناتها، الأمر الذي أدى في النهاية إلى إختلاف الثقافات بين المجتمعات البشرية ومن هنا كان علم الأنثروبولوجيا ذا صلة بكثير من العلوم الأخرى[1].

1- الأنثروبولوجيا وعلم الأحياء :

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحية من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحتى كثير الخلايا والأكثر تعقيداً، ولذلك يعرَّف بأنَّه العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطورها[2]، ومع بداية القرن العشرين بدأت إهتمامات الأنثروبولوجيا الطبيعية ترتبط أكثر بالنواحي البيولوجية للإنسان، وذلك على العكس من الفترات السابقة وركزت أكثر على الجوانب التالية :

ـ الزيادة في معدلات التوالد، كذلك الإهتمام بالإختلافات والتمايزات في معدلات النمو بين البشر وإختلافهم في بنية الجسم وملامح الوجه، وهي خصائص أصبحت أساسية في التمييز بين السلالات البشرية.

ـ إستغل العلماء تطور علم الوراثة ليبحثوا في العناصر الوراثية المستقلة والمختلطة بين السلالات البشرية.

ـ إشتغلت البيولوجيا بالبحث في أنماط الشخصية الإنسانية من خلال تحليل الروابط والعلاقات المتبادلة بين بنية الجسم وبين الأنماط السلوكية، مستعينة بالنتائج التي توصل إليها الباحثون في الطب والطب النفسي، وكلها بحوث ركزت على إظهار الإختلافات الجسمية من ناحية والترابط بين النواحي النفسية والفيسيولوجية لأنماط السلوك الإنساني[3].

---

[1]- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص35 .

[2]- أحمد زغب، المرجع السابق، ص29 .

[3]- المرجع نفسه، ص ن .

2- الأنثروبولوجيا وعلم الإجتماع (السيوسيولوجيا) :

علم الإجتماع هو العلم الذي يدرس الحياة الإجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الإجتماعية وقوانين تطورها[1]، ويحاول أن يكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الإجتماعية، كما تدرس الأنثروبولوجيا نشأة المجتمعات الإنسانية وتطورها والثقافات الإنسانية وتنوعها، فإنَّ العلاقة جدّ وثيقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الإجتماع، فالمجال واحد وهو المجتمعات الإنسانية، وبينما تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة النظم الإجتماعية – (أنساق القرابة، الأنظمة الدينية والأنظمة الثقافية، فنون، عادات، تقاليد.. إلخ)–؛ فإنَّ علم الإجتماع يعمد مباشرة إلى المشكلات الإجتماعية كالجريمة والبطالة والطلاق..إلخ)[2]، كما يدرس الطبقات الإجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أوالمنقرضة، بينما تركز الأنثروبولوجيا(علم الإنسان) في دراساتها على المجتمعات البدائية الأولية، وأيضا المجتمعات المتحضرة المعاصرة[3].

3- الأنثروبولوجيا والتاريخ:

يبحث التاريخ في أحوال المجتمعات والأمم وحياتهم السياسية والإجتماعية والإقتصادية وأدوارهم الحضارية عبر الزمان،وقد إختلف العلماء في مدى علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ ومع ذلك فمعظم علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ معاً يعتّبرون أنَّ معرفة الماضي ضرورية لمعرفة أي ظاهرة إجتماعية، وربما أنّ الأنثروبولوجيين يحاولون الوصول إلى التعميم، فإننا لا نستطيع معرفة بناء المجتمع إلاَّ إذا تتبعنا تاريخه .

كما أن ظروف نشأة الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر ربطت الأنثروبولوجيا بالتاريخ ذلك أن كل الأبحاث كانت ذات طبيعة تاريخية[4].

4- الأنثروبولوجيا و علم النفس:

يعرَّف علم النفس بأنَّه العلم الذي يهتم بدراسة العقل البشري والطبيعة البشرية والسلوك الناتج عنهما، أي أنَّه العلم الذّي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره[5]، ورغم

---

[1]– عيسى الشّماس،المرجع السابق، ص37 .

[2]– أحمد زغب،المرجع السابق، ص31 .

[3]– عيسى الشّماس،المرجع السابق، ص37–38 .

[4]– أحمد زغب، المرجع السابق، ص32 .

[5]– عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص39 .

أنه من الآراء المقبولة أنّ العقلية الفردية هي نتاج الظروف الإجتماعية، إلاَّ أنَّ دراسة تلك العقلية تختلف في أمور هامة عن الظروف الإجتماعية التي نشأت في إطارها[1]، وإذا كانت الأنثروبولوجيا توصف بأنَّها العلم الذّي يدرس الإنسان من حيث تطوّره وسلوكاته وأنماط حياته؛ فإنَّ علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان، ولكن الخلاف بينهما هو أنّ علم النفس يركز على سلوك الإنسان الفرد، أمّا الأنثروبولوجيا فتركز على السلوك الإنساني بشكل عام، كما يدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة، وعلى الرغم من أنَّ علم النفس يقصر دراسته على الفرد، بينما تركز الأنثروبولوجيا إهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى كل فرد بصفته عضواً في هذه المجموعة من جهة أخرى، فثمة صلة وثيقة بين العلمين، حيث إكتشف علماء النفس أنَّ الإنسان لا يعيش إلَّا في بيئة إجتماعية يؤثر فيها و يتأثر بها[2].

5- الأنثروبولوجيا والفلسفة :

الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها، وبأكثر الأساليب الفكر نظاماً وتماسكاً[3]، وتعرّف بأنَّها أم العلوم، وقد كانت الرياضيات أول علم إنفصل على الفلسفة حين أصبحت خاضعة للتجربة، وعلى الرغم من إنفصال العلوم بقيت الفلسفة تمثّل النظرة النقدية إلى المعرفة الإنسانية عامة، وتحاول أن تجعل المعايير الثابتة للعلم والعمل، وأن تكشف عن القيمة النهائية للوجود عامة والوجود النهائي خاصة، وهي الجهد الدائب للتوصل إلى الحقيقة الشاملة القصوى، وتبقى الفلسفة على صلة بكل العلوم ومنها الأنثروبولوجيا، فهي تشترك معها في البحث في نظرة الإنسان إلى الكون والحياة فبينما تنظر الفلسفة بنظرة شمولية تأملية وفق المنطق وقواعد العقل، تحاول الأنثروبولوجيا أن تأخذ نماذج وتتعامل مع الأمثلة الحيَّة من المجتمعات لتصل إلى نظريات علمية قائمة على الملاحظة و التجربة[4].

---

[1]- أحمد زغب، المرجع السابق، ص33 .

[2]- عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص40 .

[3]- المرجع نفسه، ص38 .

[4]- أحمد زغب، المرجع السابق، ص34 .

6-الأنثروبولوجيا والجيولوجيا والجغرافيا :

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كل نموذج من أنواع الجنس البشري، نظراً لوجود البقايا العظمية للأسلاف، على شكل بقايا مستحاثة بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية المنضّدة بعضها فوق بعض[1].

وهكذا يمكن معرفة الفترات الزمنية التي عاش فيها الإنسان الذي يعثر علماء الحفريات Archéologie على بقاياه ..، ومن ثم معرفة نوعية الحضارة التي كانت سائدة في تلك العصور..، لهذا تستفيد الأنثروبولوجيا الطبيعية خاصة من الجيولوجيا التي تدرس طبقات الأرض ومكوناتها والأزمنة الصحيحة التي تعود إليها[2]، وكما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية تستفيد أيضا من المعطيات العلمية الجغرافية وفي مقدمتها النواحي الطبيعية من تضاريس ومناخ وغطاء نباتي وقرب المياه أو بعدها، فالحرارة والبرودة في الطقس تؤثر في خمول ونشاط السكان، كما أنَّ أهل المناطق الجبلية الوعرة أكثر أمناً من الغارات الخارجية، وسكان المناطق الساحلية أكثر إنفتاحاً على العالم الخارجي من أهل المناطق الداخلية..، وهكذا فإن العالم الجغرافي ذو علاقة وطيدة بالجوانب الإجتماعية والثقافية والحضارية وهي أهم إهتمامات الأنثروبولوجيا[3].

7-الأنثروبولوجيا والأدب :

ترتبط الأنثربولوجيا بالأدب حيث أنّ الأنثربولوجيا هي دراسة المجتمعات البشرية وسلوكياتها أمّا الأدب فهو فن العمل الكتابي أو الشفهي الذي يستخدم للتعبير عن الأفكار وإيصالها ويركز كلاّ المجالين على فهم السلوك البشري والثقافة، وغالباً ما يتداخلان في إستكشافهما للممارسات والتقاليد الثقافية؛ فعبر الأدب يتعرّف الأنثروبولوجي على العادات والتقاليد وثقافة المجتمع الذي يدرسه.

وانصب اهتمام الأنثروبولوجيين أساساً على "دراسة الأدب الشفاهي والذي يتضمّن الحكايات الأساطير، الأغاني، الشعر الشعبي والأمثال الشعبية"[4]؛ بمّا أنَّ الأنثروبولوجيا تهتم

---

[1]- عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص41 .

[2]- أحمد زغب، المرجع السابق، ص34-35 .

[3]- المرجع نفسه،ص35 .

[4]- بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا،تر: مصباح صمد: المؤسسة الجامعية للدراسات،(دط)،2004، ص 214.

بدراسة الإنسان، فلابد من التطرّق الى ظواهره الثقافية وبيئته؛ وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة التعرف على تراثه الشعبي ومن بينه أدبه الشعبي؛ الذي يتمثل في تصوير حياة الإنسان ومشاعره ومشاكله؛ فتتجسد في الأمثال والحكايات والشعر الشعبي التي تتناقل شفاهياً جيلاً عن جيل.

وعلى الرغم من تفرّد كل من الأدب الشعبي والأنثروبولوجيا كحقول دراسية منفصلة، إلّا أنّ هناك تقاطعا وثيقا بينهما يسمح بالتعاون والتفاعل في سبيل فهم أعق الثقافات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية للشعوب.

وهكذا تشكّل الأنثروبولوجيا مع العلوم الأخرى ولا سيما العلوم الإنسانية منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة وهو الإنسان، ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية التي تنظم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجلات المعرفية المختلفة التي تسعى إليها هذه العلوم[1].

[1]– عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص42 .

المبحث الثاني : مفاهيم عامة حول الحكاية الخرافية

تمهيد:

الحكاية الخرافية من أبرز أنواع الفنون النثرية الشعبية تعبيراً عن الشعوب؛ وحملت أفكارهم وترجمت واقعهم وعبّرت عن الرغبات الحبيسة بباطن الإنسان، فكانت بمثابة حلقة الوصل التي جمعت بين الإنسان والواقع والخيال؛ فأصبحت من أهم الفنون التي لجأ إليها الإنسان ليتوسع بها بمخيلته وتنقله إلى عالم مليء بالسحر والخيال.

المطلب الأول : مفهوم الحكاية الخرافية

1- مفهوم الحكاية :

أ-لغة :

الحكاية من الفعل " حكى "، الحكاية كقولك حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه[1]، وحكيت عنه الحديث حكايةً، فالحكاية أصلها من حاكى يحاكي، ومنها المحاكاة والتقليد ومجاراة الواقع والنسج على منواله فضاءاً خيالياً يقع البعض بوقوعه وحدوثه.

وهي من قولك حكى الشيء حكاية : أتى بمثله وشابهه، والحكاية ما يحكى ويقَّص وقع أو تُخِيَّلَ[2].

ب- إصطلاحا :

هي إسم مأخوذ من المحاكاة والتقليد، وترتبط الحكاية بمحاكاة واقع نفسي يقتنع أصحابه بحدوثه، وقد برز مصطلح الحكاية في الأدب القصصي وتزحزح عن مجرد الإخبار بالواقع إلى الإبهام بحدث قديم مرّت الدهور عليه، أو واقعة في مكان قديم عن المخبر، ولا بأس من التوسل بالخيال لبلوغ التأثير المنشود.

ويسميها آخر بـ : " قصة مرويَّة "؛ وهي تعد من حيث غايتها إعادة تشكيل للحياة من وجهة نظر مؤلف ما، مجهول دائما وفي إطار فرضتّه ظروف العصر الذّي رويَّت فيه[3] .

---

[1]- إبن منظور، لسان العرب، تح.علي عبد الله الكبير ومجموعة من الأساتذة، دار المعارف،القاهرة، مصر، (د ط)،1919 ص954، مادة حكى.

[2]- شوقي ضيف، المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 2004، ص220، مادة حكى.

[3]- داود سلمان الشويلي، القصص الشعبي العربي دراسات وتحليل، بغداد، ط 1، 2020، ص06 .

والحكايـة هي فـن قديم يرتكز على سرد خبر متصل بحدث قديم إنتقل عن طريـق الرواية المتداولـة شفويـا عبر الأجيـال، ممَّا يجعلها تخضع للتطور عبر العصور نتيجة للخلق الحر للخيال الشعبي الذَّي ينسجها حول حدث أو حوادث مهمة بالنسبة للشعب[1].

2- الخـرافــة :

أ-لـغـة :

الخرافة أصلها من الفعل " خَرَفَ "، الخَرَفُ : فساد العقل من الكبر، وقد خَرِفَ الرجل بالكسر، يَخْرِفُ خَرْفاً فهو خَرِفٌ : فسد عقله من الكبر[2].

ب- إصـطـلاحـا :

يقصد بالخرافة إعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع، يذهب كل مـن "دافيـد كرتش"D.Krech و"ريتشارد كراتشفيلد"D.Crutchfied إلـى القول بـأنَّ ما نعتبره معتقدات خرافية « Superstitions beliefs » هو تلك المعتقدات التي برهنت أنَّها على خلاف مع الحقائق الموضوعية « Objective facts »؛ والتي يحتمل أن يشارك في الإعتقـاد بـها عدد كبيـر من أبناء المجتمع، والتي تتضمن قضايا تصف ظواهر تسمـح بنسبـة بعض الظـواهـر إلـى أسباب فوق طبيعية « Supernatural causes » مثـل القضـاء والقـدر « fate » أو الحظ « Luck » أو الشيطان « Devil ».

ويعرف "جيمس دريفر" الخرافة بأنَّها عقيدة أو نسق من العقائد قائمة على أساس صلة خيالية بين الأحداث، وغير قابلة للتبرير على أساس عقلي[3].

---

[1]- العربي رابح، أنواع النثر العربي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص35 .

[2]- إبن منظور، المرجع السابق، ص1138، مادة خَرَفَ .

[3]- عبد الرحمن عسيوي،سيكلوجية الخرافة والتفكير العلمي مع دراسة حقلية مقارنة على الشخصية العربية، منشأة المعارف الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، مصر، (د ط)، 1982-1983، ص12 .

3- مفهوم الحكاية الخرافية :

الحكاية الخرافية من أهم أنواع النثر الشعبي وفنونه، عرفتها الشعوب منذ أقدم العصور، ولا تزال متداولة إلى حد الآن، تقابلها في الثقافة الشعبية الجزائرية لفظة « حِجَايَّة، خِرِيفَة أوخُرَّافَة »، بحيث نسمع العبارات: حَاجَّينِي يا جدي، خَرِّفْنِي أي: إحك لي حكاية أو قصة[1].

ويعرفَّها الدكتور عبد الحميد بورايو بقوله:" الحكاية الخرافية إبداع جمالي ذوسمات محددة، وقد عرفته شعوب العالم منذ العصور القديمة ".

فالحكاية الخرافية صورة معقدة مركبة ترجع إلى أقدم العصور الإنسانية، وما تزال نشطة كذلك في عصرنا[2]، فهي شكل من أشكال القصص الشعبي المتوارث جيل عن جيل.
وترى ليلى روزالين قريش أنَّ الحكاية الخرافية هي: "قصة إخترعها الخيال الشعبي وأضاف لها جانباً خرافياً للتعبير عن عقيدة خاصة يؤمن بها الناس أو فكرة معينة تتحمس لها الجماهير"[3].

فهي حكاية تلعب فيها الخوارق والخيال دوراً مهماً، تتبع من كل أمة بشكل تراه وتتصوره وتحافظ عليه وتتوارثه جيلاً بعد جيل وقد تضيف إليه، لكن مع الحفاظ على البنية الأساسية للحكاية.

أمّا الدكتورة نبيلة إبراهيم فترى : " أنَّ الحكاية الخرافية البدائية تكوّنت في الأصل من أخبار مفردة، تنبعث من حياة الشعوب البدائية ومن تصوراتهم و معتقداتهم، ثم تطورت هذه الأخبار وإتخذت شكلاً فنياً على يد القاص الشعبي"[4].

أمَّا سعيدي محمد فيعرِّفها بقوله : "فهي في الأصل تجربة وقعت لبطل وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطرات، تلعب فيها الخوارق دوراً بارزاً تترجم هذا الدور من خلال حركتي الجن والعفاريت والغول والشيطان والمغامرات والوديان والحيوان المفترس منه، والأليف

---

[1]- فروديشن فون ديرلاين، الحكاية الخرافية نشأتها-مناهج دراستها-فنيتها،(تر): نبيلة إبراهيم،دار القلم، بيروت، لبنان ط1، 1973،ص69 .

[2]- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة-دراسة ميدانية-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط) 1986، ص128 .

[3]- ليلى روزالين قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،(د ط)،الجزائر، 1998، ص144 .

[4]- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة، مصر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص56 .

الصديق المساعد للبطل، والوحش المعاكس للبطل والخاتم السحري المحوِّل الجنة جحيم والجحيم إلى جنة، والطائر الذي يحلِّق بالبطل إلى عالم مجهول يقطع به مسافات طويلة في برهة من الزمن.." [1].

ولقد إرتبطت الحكاية الخرافية في ظهورها بظهور الإنسان على سطح الأرض، فهي قديمة قدم وجوده، ولا زالت تحتفظ ببعض البصمات من هذا العهد القديم المرتبط بحياة الإنسان البدائي ومعتقداته وفلسفته الحياتية وعلاقتها مع المحيط والطبيعة والحيوان، إذ هي بنية مركبة حيث لا يمكن تفسيرها بطريقة موّحدة، فإذا أردنا الرجوع إلى أصل الحكاية الخرافية لابدّ لنا أن ننظر إلى الوراء، أي ما يقارب قرناً ونصف القرن من الزمن، حينما إهتم "الأخوان جريم""Fréres Grimm"، بالبحث عن أصل الحكاية الخرافية نفسها ومجموعاتها[2].

ممَّا سبق نستنتج أنَّ الحكاية الخرافية هي شكل من أشكال التعبير الشعبي، عرفتها الشعوب منذ القدم، تحكي حكاية البطل في عالم سحري عجيب، تلعب فيه الخوارق والكائنات الغيبية دوراً مهماً فيها، ينتقل فيها البطل من عالم واقعي إلى عالم مجهول خيالي مستعينا بأدوات سحرية، تعترضه صعوبات تقف عائقاً أمامه، يبحث فيها البطل عن شيء مفقود، لا تنتهي الحكاية إلَّا بالعثور عليه.

[1]– سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بنعكنون، الجزائر، (د ط)،1998 ص57 .

[2]– فروديتش فون ديرلاين، المرجع السابق، ص22 .

المطلب الثاني : خصائص الحكاية الخرافية :

إنَّ الحكاية الخرافية جنس أدبي شعبي قائم بذاته، له أصوله و مقوّماته الفنية التي يتميز بها عن باقي أشكال التعبير الشعبي الأخرى ومن أهم خصائصه نجد :

- عدم تقيد الحكاية الخرافية بالزمان والمكان، ذلك أنَّ القاص يتناول الموضوع مباشرة دون مقدمات أو أحداث ممهدة له.
- الأبطال في الحكاية الخرافية يولدون مع ولادة الحدث، فهم أبطال جاهزون، تعارف الناس على بطولاتهم وآمنوا بها.
- يطغى أسلوب المبالغة على نصوصها وأحداثها إلى أقصى الحدود، وكل ما يقال أو يظهر فيها من خوارق لا يعد كذبا في الثقافة العامة، بل هو جزء من الحدث الأكبر المكون، ودون إهمال السياق القصصي.
- يلجأ القاص إلى العنصر الدرامي لتطوير الحدث وزيادة تفاقمه، مما يجعل المستمعين في تلهفٍ لمعرفة الحل[1].
- بطلها من نوع خاص؛ فهو خارق للعادة وغير مألوف وغير طبيعي، ساحر بالممارسة المادية والمعنوية[2].
- أحداثها تقع في عالم سحري مجهول، وهي كذلك لأنَّها تجسد تجارب الإنسان مع عالمه الداخلي.
- تميز كذلك بالشخصية المسطحة خلافاً لشخوص العالم الواقعي التي تتميز بالعمق فشخوصها أشكال مجردة، فالبطل يسعى نحو هدفه دون أن يكون له أساس نفسي للخوف أو التعجب من تلك الكائنات التي يصادفها في مسيرته.
- إستخدام الشخوص السبعة؛ فنبيلة إبراهيم ترى أنَّ الحكاية الخرافية تستخدم الشخوص السبعة بحيث يقوم كل منها بحركة أساسية في حياة البطل من أجل الوصول إلى هدفه، وهذه الشخوص هي : الشخصية الشريرة، الشخصية المانحة، الأميرة أو الزوجة، المبعدة للبطل في بداية الحكاية، شخصية البطل المزيف، شخصية البطل الشخصية المساعدة.

---

[1]– محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم، (د ط)، عنابة، الجزائر، 2013، ج 1، ص77 .

[2]– سعيدي محمد، المرجع السابق، ص62 .

- الرموز؛ فالحكاية الخرافية تزخر بالرموز التي توظفها من أجل التعبير، فمن الرموز المألوفة : المسخ Métamorphose، كأن يمسخ الرجل في صورة حيوان ثم تعيده إلى صورته الأصلية من جديد، وكثيراً ما تستخدم الطقوس السحرية لهذا الغرض[1].
- ينتهي الصراع بإنتصار البطل الذي هو في النهاية يرمز للإتجاه الفلسفي لدى المجتمع، وهو إنتصار الخير على الشر.
- الشخصيات ليست لها أسماء إلَّا نادراً، والغالب ما تشيع فيه أسماء الجنس والصفات مثل : « مرت الحطاب»،« الأمير»،« السلطان»،«الستوت»[2].

[1]– أحمد زغب، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط 1، 2008، ص50–51 .

[2]– محمد عيلان، المرجع السابق، ص78–79 .

المطلب الثالث :علاقة الحكاية الخرافية بالأنثروبولوجيا :

شغلت مختلف الظواهر الكونية تفكير الإنسان الأول، فسعى جاهداً لإيجاد التوافق بينه وبين ما يحيط به من حيوانات ونبات وجماد، فكانت الحكاية الخرافية أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية إتصالاً بالواقع، فهي تعكس حياة الأنسان بكل تفاصيلها، توارثتها الشعوب جيلاً بعد جيل، فشَّكل السحر والخوارق طبيعتها العجائبية، وكانت محل إهتمام الدراسات الإنسانية وعلى رأسها الأنثروبولوجيا أو ما يعرف بعلم الإنسان.

وتبحث الأنثروبولوجيا في أصل الإنسان وتطوره وأشكال التجمع البشري، حيث يدرس المجتمعات المعقدة والمعاصرة، ولم يقتصر على دراسة المجتمعات البدائية وأفكارها وتسلسل تطور صناعاتها اليدوية وما شابه[1].

وقد إعتنت المناهج الأنثروبولوجية بدراسة التراث الشعبي بجميع مظاهره الثقافية والعقائدية والدينية والنفسية، وأعطت تحليلاً عميقاً لعاداته وتقاليده وطقوسه وأدبه كالأساطير والحكاية الخرافية التي تشكل جانبا مهما من حياة الإنسان وسجلاً متنوعاً من الخيال يقرّبنا من الواقع، بمعنى أنَّ دراسة الحكايات من الناحية الأنثروبولوجية تعني إبراز ما ترَّسب في الحكايات من معتقدات وتصورات قديمة، كما أنَّها تعني إقتفاء أثـر تعبير الإنسان عن ظاهرة من الظواهر الكونية منذ الزمن القديم حتى اليوم[2].

فالحكايات الخرافية تعد مجالاً خصباً للباحث الأنثروبولوجي لمّا تحتويه من معتقدات ورموز تعبَّر عن ثقافة الشعوب، وتلعب دوراً هاماً في مجال الأنثروبولوجيا، بحيث تعتبر جزءاً أساسياً من التراث الشعبي والثقافي للمجتمعات، وتساعد الحكاية الخرافية على فهم أعمق العقائد وقيَّم الشعوب، وتعكس طريقة تفكيرهم ورؤيتهم للعالم، كما تستخدم في دراسة تاريخ وثقافة الشعوب، وتلعب دورا هاما في تحليل الهويات الثقافية والإجتماعية.

---

[1]– ينظر، محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، (د ط)، (د ت)، ص6 .

[2]– البشير سواكر وزهية طراحة، أنثروبولوجيا التحول ورمزيته في الحكاية الخرافية الجزائرية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، الجزائر، مج05، ع04، نوفمبر2022، ص183–184.

الفصل الثاني :

حكاية لونجا من المنظور الأثنوغرافي والأثنولوجي

المبحث الأول : الدراسة الاثنوغرافية لحكاية لونجا السوفية

نعني بالدراسة الأثنوغرافية الخصائص والمميزات الأنثروبولوجية الظاهرة التي تصف مجتمع الحكاية؛ والتي من شأنها مساعدة الباحث الأثنولوجي في فهم هذه الظواهر لفهم الخلفية الثقافية والإجتماعية التي تؤثرعلى نشأتها وإنتشارها؛ وهي التي تهتم بتحليل ودراسة الحضارات والثقافات والتقاليد الشعبية.

المطلب الأول : نص حكاية لونجا كما تروى في سوف

شَادَة يَا مَادَة وِيْدِ لْنَا وِ يْدِ لْكُمْ عَنْ طَرِيقْ الشَهَادَةْ، صَاحَبْ الْدِيبْرْيَدَ بَرْ وَالَنِبِيْ شَا وْ مْقَدَرْ، حَاجَتْكُمْ يَا مَا جَاتْكُمْ عَلَى وَاحِدْ الْرَاجِلْ عِنْدَهْ ابْنَيَهْ هَاكْ البِنْتْ يَخْلَقْ اللَّه مَا يَشَاءْ .... سِمْحَةْ يَاسِرْ، وكَانْ شَعَرْهَا طُوِيلْ، حَتَى وَاحِدْ النْهَار جَاتْ مَاشْيَةْ لِلْبِيْرْ بَاشْ تَمْلَا الْمَاءْ مَعَ صَاحْبِتْهَا حَتَى هِيْ بِشْ تْعَمَرَالْمَاءْ لُصْقِتْ شَعْرَه فِي حَبَلْ الَبِيْرْ، هَايْ هِيْ عُقْبَتْ، حَتَى جَاءْ خُوهَا بَشْ يِشَرَّبْ حْصَانَهْ، وْكِيفَ شَافْ هَاكْ الْشَعْرَه قَسَمْ بِمِينْ، غِيْرْ الْطُفْلَه اللِي شَعَرْهَا طُوِيلْ قَدْ الْشَعْرَه هَذِي غِيْرْ نَخُضْهَا حَتَى كُونْ تْعُودْ لُونْجَا بِنِتْ أُمِي وَهَزَأَكْ الْشَعْرَه وْقَاسْهَا عَلَى كُلَ لْبَنْوَتْ نْتَاعْ لِبْلَادْ، جَتْ الْشَعْرَة كَانْ قَدْ شَعَرْ لُونْجَا. وْ نْبَاعِدْ قَال كَانْ يَخُضْهَا، وبِدَا يْحَضَرْ بَاشْ يْعَرَسْ، نَهَارْ عِرِسْهَا وَصَّتْ خُوهَا الْصِغِيرْ وْقَلَتْلَه: أُهْرُبْ بِالمُشْطَة وَكِيفْ يَلَحْقُوكْ قُلِلْهُمْ مَا نَعَطِيهَا لِحَتَى وَاحِدْ غِيْرْ لُونْجَا أُوْخَيْتِيْ قَالْتِلْهُمْ هِي تَوْ نْرُوحْ نَايَا انْجِيبْهَا وخُلْطَتْ عَلِيْه وَهُرْبَتْ هِي وإِياهْ وْطُلْعُو فُوقْ رَأْسْ الجِبَلْ وْعَادَتْ تُطْلِبْ فِي رَبِي حَتَى طَلَعْ بِيهَا هَاكْ الْجِبَلْ .

كِيفَ فُطْنُوا بِيهَا أَهَلْهَا جَاهَا بُوهَا، وقَالِلْهَا « يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال » رَدَتْ عَلِيْه وْقَالِتْلَه«....مْنِينْ كُنِتْ بَايَا نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ عَمِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ » وْكِيفْ جِتْهَا أُمْهَا قَالِتْلَها«...يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال ...» رَدَتْ عَلِيْهَا وْقَالِتْلَهَا«....مْنِينْ كُنِتْ مِيمْتِي نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَي مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتِ عْمِيمْتِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ » وبَعِدْهَا زَادْ جَاهَا خُوهَا قَالِلْهَا«...يَا لُونْجَا يَا بِنْتِ أُمِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال...» رَدَتْ عَلِيْه وْقَالِتْلَه[1]«...مْنِينْ

[1] - فاطمة فوناس، أمية، 88 سنة، الوادي، الجزائر، تاريخ المقابلة:2024/04/01.

كُنِتْ خُويَا نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ رَاجْلِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ ...» .

وْبَعِدْهَا رَاحُو أُكُلْهُمْ يِبْكُوا، وِنْبَاعِدْ هُبْطِتْ هِيْ وْخُوهَا،وشَدَتْ الْطِرِيقْ هِي ويَاه دَاخْلَةْ بْلَادْ وْخَارْجَةْ بْلَادْ شَافُو مِنْ بِعِيدْ عُرْمَة بِيْضَاءْ وْعُرْمَة حَمْرَاء وْقَالْ خُوهَا نَايَا نْهِزْ عُرْمَة الْمِلِحْ وْقَالِتْ لُونْجَا نَايَا نْهِزْ عُرْمَة الْتَمَرْ، مِنْبَعَدْ كِلَى خُوهَا الْعُرْمَة تَاعْ الْمِلِحْ وْهِيْ كِلَتْ الْعُرْمَة تَاعْ الْتَمَرْ، وْهَزَتْ شْوَيْ لْخُوهَا وْقِعْدَتْ تِمْشِي تِمْشِي وْ خُوهَا وَاكِلْ الْمِلِحْ يْزِيْدْ شْوَيْ وِيْقُلْهَا عُطُشِتْ قَالِلْهَا خُوهَا رَانِي عُطُشِتْ، وْشَرَبْ مِنْ هَالْبِيْرْ ْقَالِتْلَه:هَذَا بِيْرْ لُحْصُنْه ْمَاْتَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْ حْصَانْ ورَاحُو يْمْشِوْا حَتَى عَرَضْهُمْ بِيرْ آخَرْ قَالِلْهَا نَشْرَبْ قَالِتْلَه هَذَا بِيرْ لُغْزْلَهْ ْمَاْتَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْ لِي غْزَالْ، نَحَى صَبَاطَهْ عِنْدْ هَاكْ الْبِيرْ وْمِشَوْا شْوَيْ وْقَالْ لِأُخْتَهْ خَلِينِي نَرْجَعَ نْهِزْ صَبَاطِي، قَالِتْلَهْ: رُوحْ أُوْرِدْ بَالَكْ تِشْرُبْ، وْرَاح وْشِرَبْ وْكِيْ شَرَبْ مْنْهَا وَلَىْ غَزَالْ وْجَاهَا كَنْ غَزَالْ، بِكَتْ بِكَتْ، كَرْضَاتَه مْعَاهَا وشَدَتْ الْطِرِيقْ هِي وْخُوهَا دَاخْلَةْ بْلَادْ وْخَارْجَةْ بْلَادْ وْقِعْدَتْ تِمَشِي فِي الْغَابَةْ وْجِتْ بِحْذَا شَجْرَه خَلَتْ وْخَيْهَا الْتِحِتْ حْذَا الْشَجْرَةْ وْطَلْعَتْ وْرِقَتْ لُونْجَا لْهَاكْ الَشَجْرَة الْعَالْيَة وَسِكْنَتْ فِيهَا هِي وُوْخَيْهَا الْغْزَالْ فْي النَهَار يَسْرَحَ وْفِي الْلِيْلْ يْجِي يِتْمَدْ تِحِتْ هَاكْ الْشَجْرَة، وجَاء الَسُلْطَانْ لِلْوَادْ إِلِي بِحْذَا الْشَجْرَة إِلِي سِكْنَتْ فِيهَا لُونْجَا وْهُو قَاعِدْ يُشْرَبْ مِنْ هَاكْ الَوَادْ حَتَى شَافْ خَيَالْ لُونْجَا الْي فُوقْ الَشَجْرَة فِي الْمَاءْ قَالِلْهَا الَسُلْطَانْ إِنْتِ جِنْس ْوَلاَ إِنِسْ ٌقَتْلَه نَايَا وِنِسْ قَعَدْ يْحَلِلْهَا بِشْ تَهْبَطْ، وْمَا هُبْطَتْشِي مَالَا رَاحْ لِسَتُوتْ بَاشْ تْعَاوْنَهْ وْتَهْبَطْلَهْ بِمَعْرِفَتْهَا وْحِيلِتْهَا، وْجَتْ تِحْتْ الْشَجْرَة هَذِيكْ وْدَارِتْ بْرُوحْهَا أَتَطَيَبْ فِيْ الْكِسْرَة، وَالْطَاجِينِ مَكْبُوبْ، وْجَابَتْ عَنِزْ وْدَارِتْ رُوحْهَا تِحْلِبْ فِيهَا مِنْ أُقْرُونْهَا وْكِي شَافِتْهَا لُونْجَا مِنْ فُوقْ الْشَجْرَة هَالمَنَظَرْ نُطْقَتْ لُونْجَا وْقَالِتْ لِلْسَتُوتْ مِشْ هَكَا يَا خَالْتِي يِنْصَبُوا الْطَاجِينِ وَرَاكِي تِحْلِبِي فِي الْعَنِزْ مِنْ قْرُونْهَا، قَالْتِلْهَا الْعَزُوزْ يَا بِنْتِي وَرِيلِي رَانِي عَمْيَاءْ مَا نَشْبَحْشِي، هَبْطَتْ لُونْجَا تْوَرِيلْهَا حُكْمَتْهَا الْسَتُوتْ وْقَيَدَتْهَا ثَمْ جِىْ الَسُلْطَانْ وْعَرَضْ عَلِيهَا الَعِرِسْ وْقِبْلَتْ وْشُرْطِتْ عَنْهْ شَرَطْ وَاحِدْ كَانْ الَغَزَالْ مَاتْمَسُوشِيْ وْمَاتَحْرَبَاشَيْ رَاهْ خُويَا ، وْقْبِلْ شَرِطْهَا وْتْزَوْجْهَا، وْكَانْ عِنِدْ الَسُلْطَانْ نَسَاوِينْ أُخْرِينْ مِنْ غِيرْ لُونْجَا وْكَانْ عِنْدَه دَارْ فِيهَا الْثَعَابِينْ دَوَّرْهَا الَسُلْطَانْ عَنْ الْقَصْرْ وْقَالِلْهَا :الَدْيَارْ الْكُلْ أَفْتَحِيهُمْ وْغِيرْ هَذِي الَدَارْ مَتَفْتَحِيهَاشِي، وكَانْ الَسُلْطَانْ يْعِزْ لُونْجَا[1] أَكْثَرْ مِنْ

[1] - المصدر السابق .

نَسَاوِينَهْ الأُخْرَاتْ وْوَاحِدْ الْنَهَارْ خَرَجْ السُلْطَانْ لِلْحِجْ قَالِتِلْهَا ضَرَتْهَا أَفَتْحِيْ هَذِيْكْ الْدَارْ رَاهُو السُلْطَانْ مْدَرَقْ عَنِكْ يَاسِرْ حَوَايِجْ فِيهَاْ، حَتَى تْوَسُوْسِتْ لُونْجَا وَفَتْحَتْ الْدَار أوْ مْنِينْ فِتْحَتْهَا دَزَتْهَا ضَرَتْهَا فِي الْدَارْ وْسَكَرَتْ عَنْهَا الْبَابْ وْكَانِتْ لُونْجَا عَيَانَة، وْدَارِتْ هَاكْ الَضَرَة رُوحْهَا لُونْجَا حَتَى رَجَعْ السُلْطَانْ مِنْ الْحَجْ.

قَالِلْهَا : وِشْبِيهَا عِينِيكْ بِيضَاءْ.

قَالِتْلَهْ : مِنْ كُحْلْ بْلَادِكْ .

وْقَالِلْهَا :وِشْبِيهَا قِشْرِتِكْ عَادِتْ سِوْداءْ.

قَالِتْلَهْ : مِنْ مَاءْ بْلَادِكْ .

وأَيْ سؤَالْ يَسْأَلَه لِيهَا تْقُولَه مِنْ حَوَايِجْ بْلَادِكْ وْقَالِتْلَهْ: هَالغَزَالْ أَذْبَحَهْ عَنِي قَالِلْهَا كِيفَاشْ إِنْتِ قَبَلْ شِرَطْتِي عَنِي هَالغَزَالْ مَاتْحَرْبَاشِي وْتَوْ تَقُوْلِيلِي أَذْبَحَهْ، قَالِتْلَهْ : مَلِيتْ مِنَهْ أَذْبَحَهْ. وْ بَدَاْ السُلْطَانْ يْحَضَّرْ فِي لَمَاسْ قَالْ لِيهَ الْغَزَالْ :خَلِينِي نْقولْ ثِلَاثْ أَصْوَاتْ،وْقَالْ لُونْجَا يَا بِنْتْ أُمِي، وْخَيكْ الْغَزَالْ رَاهُمْ بِشْ يَذِبْحُوهْ .

وْتْرُدْ عَلِيهْ لُونْجَا: وِلْدْ السُلْطَانْ فِي حِجْرِي، وِالْثُعْبَانْ مِتْوَسْدِينِي، وْكِي سِمِعْ السُلْطَانْ الِحدِيثْ هَذَا قَالْ لِلْغَزَالْ عَاوِدْ، وْعَاوِدْ الْغَزَالْ وْأُخْتَهْ رَدَتْ عْلِيْهْ، فَاقَ لْرُوحَهْ وْشَدْ الْمَرَاه (الْضَرَه) وْقَالِلْهَا قِرِي، قَرِّتْ وْقَالِتْ بِلِي رَاهِي هِي إِلِي دَزِتْهَا فِي الْدَارْ، وْرَاحْ السُلْطَانْ لِلْدَبَارْ وْقَالَهْ مُرْتِيْ مِتْوَسَدْهَا ثُعْبَانْ فِي الْدَارْ دبَرْ عَنِي وِشْ نِدِيرْ، قَالَه الْدَبَارْ دَبَرْ قُعْرَه فِي الْدَارْ مِنْ فُوقْ وِجِيبْ صُقْشَةْ لَحَم وْهَبَطْهَاْ بِالْحَبِلْ،وَاحِدْ يَهْبِطْ مِنْ الفَوقْ وْلُخُرْ يْحِلْ الَدَارْ وْيُخْطُفْهَا هِي وْوْلِدْهَا،وْدَارْ وَاشْ قَالَهْ الْدَبَارْ وْخَرَجْ لُونْجَا وْلِدْهَا .

رَاح السُلْطَانْ لِدَبَارْ قَالَهْ عَلَى خُوْلُ ونْجَا إِلِي عَادْ غَزَالْ فَعْطَاهْ الْدَبَار الْعَقَاقِيرْ والْحَشَاوِشْ رِجَعْ الْغَزَالْ عَبِدْ وْدَارْ بَرَاحْ وْبَرَحْ فِيْ الْبِرِيْحْ، لَا يُقْعِدْ لَا خَايِبْ وْلَا مِلِيحْ، وْالْنَاسْ الْكُلْ تْجِي تَحْمِلْ الْحَطَبْ، وْحَرَقْ أَكْ الْضَرَة الَمِيشُومَة، وْ بَقَى يْعِيشْ مَعَ لُونْجَا وْخُوهَا .

خُرَافِتْنَا غَابَةْ غَابَةْ وكُلْ عَامْ تْجِينَا صَابَه تُفَاحَة لِيَا وتُفَاحَة لْمِنْ يْصَقَرْ فِيَا وْتُفَاحَة قَدْ الْكَسْكَاسْ نِقْسِمُوهَا عَنْ كُلْ الْنَاسْ[1] .

[1]– المصدر السابق .

المطلب الثاني: الأبعـاد الأثـنوغــرافية

1- البعد البيئي :

الحكاية الخرافية عالم مفعم بالحياة، زاخر بالعجائب، تتحرك فوق مساحته الشخوص والأبطال طلبا للمغامرة أو بحثاً عن الأدوات السحرية، عالم يبث الإحساس في الحيوان والنبات والجماد، وقد أسهم ملفوظ الحكاية " لونجا " في التأسيس للمشهد البيئي المحلي مسجلاً حضوراً متميزاً لبعض النباتات والحيوانات والجمادات مبرزا قيمتها في حياة أهل المنطقة، مثل لما جاء في الشاهد: « .. شَافُو مِنْ بَعِيدْ عُرْمَة حَمْرَاء وْعُرْمَة بَيْضَاءْ..»
و« .. وْقَالْ خُوهَا نَايَا نْهِزْ عُرْمَة الْمِلِحْ وْقَالِتْ لُونْجَا نَايَا نْهِزْ عُرْمَة الْتَمَرْ..»[1]، وذّكر كل من التمر والملح في الحكاية يشير إلى أن البيئة الصحراوية تحتوي النخيل الذي لطالما مثَّل مصدر رزق أساسيا لأهل المنطقة لدرجة تقديسها.

أمّا عن ذكر الملح فهو دلالة على أن المنطقة الصحراوية ذات طبيعة مالحة بها شطوط للملح، فهو مصدر رزق لا يقل أهمية عن الأول إذا كانوا يبيعونه أو يستبدلونه بأغذية أخرى أو أطعمة من خلال المبادلات التجارية التي شهدتها منطقة سوف.

ومن الحيوانات المذكورة في الحكاية الغزال الذي تحول إليه أخ "لونجا"« وْكِيْ شَرَبْ مْنْهَا وَلَىْ غَزَالْ»، ولهذا مكانته خاصة في وجدان السوافة، فهو رمز للرشاقة والجمال ومصدر لرزق في لحمه ودمه ومتعة في صيده، وهو شعار الحرية والشرود والمتعة، اتخذته بعض الدول في شعاراتها، والنساء في صناعاتها، فنجده في الأنسجة والأفرشة والألبسة وغيرها على المستوى الشعبي وفي العملة النقدية على المستوى الرسمي.

ومن الحيوانات المذكورة الأفعى(الثعبان)؛ التي ترتبط في الوجدان الشعبي الجزائري من خلال الحكاية بالموت والهلاك وأنه لا مفر من الاستسلام لإملاءتها« قَالَوْا جِيْبْ صَقْشِةْ لَحَمْ لِلْثُعْبَانْ»، وكأن القّاص يريد أن يقول افدي إمرأتك بقطعة لحم ليرضى عنك الثعبان ويترك لك زوجتك وابنك.

وأما عن ذكر الأشجار العالية و الواد أو النهر؛ فهي مؤشر البيئة الريفية الخضراء وما يفسر لنا ذلك الشاهد أن بطلة الحكاية :"وشَدَتْ الْطِرِيقْ هِي وْخُوهَا دَاخْلَةْ بْلَادْ وْخَارْجَةْ بْلَادْ..."[2].

---

[1]- المصدر السابق .

فهي عناصر مكوّنة للريف وجدّتها البطلة في طريقها للبحث عن مأوى لها ولأخيها.

2- البعد الديني :

إنَّ الدارس للحكاية الشعبية الجزائرية يلاحظ أثر الإسلام فيها بوضوح، دون أن يعني ذلك خلّوها من ترسّبات أخرى كالأسطورة، وبقايا المعتقدات سواء ما كان قبل الإسلام وعاش في الوجدان الثقافي الشعبي؛ أو من ديانات أخرى بفعل التعايش أو الاحتكاك بين الشعوب ومن خلال الهجرة والاحتلال والمصاهرة المؤدية إلى اختلاط الثقافات وتفاعلها.

فالحكاية إنتاج جمالي ووظيفي ومن ثمَّ فإنّها تتضمن عددا من الخصائص العالمية التي تنتمي إلى التراث المشترك بين البشر، لكنها أيضا تحمل- فيما بعد رموزاً أثنوغرافية أولية –علامة المجموعة الاجتماعية حيث تمارس وظيفتها.

تقودنا شواهد الحكاية إلى كثيرا من القيّم الدينية، منها تعظيم حق الوالدين والإحسان إليهما مهما كان تقصيرهما، فالفتاة حين حاورت والديها وهي على رأس الجبل، حيث قال لها أبوها:"... يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال"[1]، وردّت عليه بأدب واحترام رغم صنيع أهلها معها فهي لم تكافئهم بماعملوا بل حرصت على أن تبقى العلاقة ودية، وفيها نوع من اللوم، قائلة: "... مْنِينْ كُنِتْ بَايَا نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ عَمِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ..."[2]، وكذلك الحال تكرر مع والدتها، فقالت: "..يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال..." [3]ردت عليها لونجا: " ...مْنِينْ كُنِتْ مِيمْتِي نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَيْ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ عْمِيمْتِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ..."[4].

قيمة دينية أخرى تجلّت في قوامة الرجل في المجتمع الحكائي فقيامه بواجباته الدينية في حماية زوجته، وإشعارها بالأمان وأنه ملاذها الذي تأوي إليه كلما حزت بها الخطوب وهذا ما جاء به الأثر" ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"، وفي مضامين الحكاية علاقة السلطان بالفتاة كي شرطت عليه، قالتله:"كَانْ الْغَزَالْ مَاتْمَسُوشِيْ وْمَاتَحْرَبَاشَيْ" فقبل

---

[2]- المصدر نفسه .فاطمة فوناس، المصدر السابق .

[1]- المصدر نفسه .

[2]- المصدر نفسه .

[3]- المصدر نفسه .

[4]- المصدر نفسه .

السلطان شرطها ووفى بعهده لها، "فَعْطَاهْ الْدَبَار الْعَقَاقِيرْ والْحَشَاوِشْ وْرِجَعْ الْغَزَالْ عَبِدْ..."[1].
ثورة الفتاة عن حكم أهلها بأن يزوجوها لأخيها رغما عنها، ورفضها لهذا الزواج الذي يعد من المحرمات، فهو دلالة واضحة على القيمة الدينية الإسلامية إذ أنها مثّلت الموقف المعارض لهذا الزواج في حين أن أهلها قد عبر موقفهم عن راسب وثني قديم قد ساد قديما في الحضارات والثقافات الغابرة.

جاء في الحكاية أن حكيم الزمان(الدبّار) نصح السلطان فقال له : "... جِيْبْ صَقْشَةْ لَحَمْ وْهَبَطْهَا بِالْحَبِلْ..." [2]، ويعتبر ذلك الصنيع كإرضاء لها وإتقاء شرها لتحقق لـه أمنيته استعادة زوجته؛ وهي قيمة متصلة بما حفر في الوجدان الشعبي من الإعتقاد في حدوث الخوارق، والتسليم بوجود أصحابها ووجوب استرضائهم بتقديم القرابين، ومن الإيمان بالوسطاء أصحاب الحكمة والبرهان الذين ينصحون المرضى وأصحاب الحاجات بذبح بعض الحيوانات ذات موصفات خاصة عند الأضرحة أو البيوت للجان والأرواح استرضاء لهم وطلبا لمددهم وعونهم.

3- البعد الاجتماعي :

تحيلنا دراسة الحكاية لونجا إلى كثير من القيم القارة في المجتمع الجزائري، التي شكلت كيانه وحققت وجوده، ذلك أننا لا ندرس لغة الحكاية في ذاتها فحسب، وإنمّا في علاقتها بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي تحتضنها[3]، والذي نلمح فيه مجتمعا مستقر بذاته، تأخذ المرأة بزمام المبادرة ويتمثل ذلك في لونجا وهي تأخذ الماء من البئر وفي علاقتها الودّية بأخيها الصغير، بينما نلمح سيطرة النظام الباطرياكي الأبوي وجبروته وطغيانه متمثلا في الأخ الأكبر الذي صمم على الزواج بصاحبة الشعرة؛ حتى لو كانت أخته ودون معارضة للأم والأب، اللذان يمثلان رأس هرم الأسرة، حيث يترتب الزواج عنها انتهاكا لنظام الاجتماعي وتحطيم علاقات القرابة، وهي ما يميّز مجتمعا إنسانيا عن جماعات الحيوانات لأن الحيوان لا يوجد له نظام قرابة، غير أنّ اللافت للانتباه أن يطرأ هذا النظام على كل أفراد المجتمع إذ كان الأب والأم والأخ يساندون جبروت الذكر، في ظلمه وانتهاكه النظام

[1]-فاطمة فوناسالمصدر السابق .

[2]- المصدر نفسه .

[3]–محمد الجوهري، المرجع السابق، ص 19.

من هنا نلمح ثورة لونجا؛ وهي الفتاة الضعيفة المضطهدة المغلوب على أمرها، حيث لجأت إلى حيلة أو فكرة تخلصها من المأزق قائلة لأخيها الصغير: " ....أُهْرُبْ بِالْمُشْطَة ..."[1] فبالرغم من هذا الضيّم الذي وقع لها، فإننا نجد أن الطبيعة والقوى الغيبية تتجند لصالحها وهي تتمثل في الجبل وطلبها منه الارتفاع نظرا لأن الطبيعة تتوافق مع النظام الاجتماعي السوي وضد النظام المنحرف، حيث تظهر جلياً وظيفة الإساءة من طرف الأهل ضد الفتاة وقرار أخوها الزواج منها، وتعتبر الدراسات الأنثروبولوجية زواج المحارم والزواج بالأباعد قاعدتين لتفكير مجتمعي تهدفان إلى منع النتائج السيئة التي يمكن أن تترتب على الزواج لذي القربى من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى سن قوانين التبادل والتواصل بين البشر، وإلى القاعدة التي تمنع الزواج من المحارم والقاعدة التي ترفض الزواج بالأباعد قاعدتان متماثلتان في جوهرهما، فهما معا قاعدتا تبادل، ذلك أنه إذا امتنع المرء عن الزواج بابنته أو أخته فلأن جاره يمتنع عن مثل ذلك، وأن تبادل هذه الظاهرة الكلية هو تقايض يشمل الطعام والأشياء المصنوعة والنساء، وهذا الكلام ينطبق على هذه الحكاية، وهو الحكم الباترياكي الذي يسود هذا المجتمع ومع ذلك تم تحقيق النظام السوي من قبل لونجا، وذلك بهروبها والتقائها بالسلطان والزواج منه والعيش في الحياة الكريمة التي كانت تبحث عنها.

4- البعد الثقافي :

في المجتمع الحكائي نلمح في حكايتنا ثقافة منفتحة على الثقافات الإنسانية الأخرى فهذه الحكاية المدروسة تمثل ظاهرة ثقافية، عبّرت في مراحل إنتاجها وتداولها على مجموعة من العلاقات الاجتماعية والوظائف المنوّطة بها.

وقد تركزت حول الأنوثة، فقدمت الحكاية المرأة في تجليها الأنثوي المندمج في مظاهر الطبيعة، منذ الموقف الافتتاحي للحكاية المروية، فنجد في ملفوظ الحكاية أن البطلة تستنجد بقوى الطبيعة " الجبل " في الحكاية، وبالقوى الغيبية لتسخرها لها الطبيعة التي تمثل النظام السوي الفطري، فهذا دليل على اعتقاد القوى الغيبية، وهذا المعتقد نفسه الذي سيطر على المخيال الشعبي الذي بدى لنا في جزئيات المسخ والاعتقاد السائد في المنابع المائية عندما قالت الأخت لونجا لأخيها الصغير:".. مَاْ تَشْرَبْشِ مِنْ هَالْبِيْرْ عْلاَشْ تَعُودْ لِيْحْصَانْ.."[2]

---

[1]–فاطمة فوناس، المصدر السابق .

2- المصدر نفسه .

"وزَادُوا مِشَوْا عَرَضْهُمْ بِيْرْ آخُرْ" قالتله :" .. مَأْ تَشْرَبْشِ مِنْ هَالْبِيْرْ عْلاَشْ تَعُودْ لِيْ غَزَالْ..."[1] فقد مثل هذا المعتقد إيمان وقناعة في المخيال الشعبي بقداسة بعض الأماكن وفي قدرتها العجائبية على التحويل والمسخ عند خلق النظام الخاص بالطبيعة، فهو أشبه بنظام طبيعي سوي وأنَّ من يشذ عن هذه القاعدة أو يخرقها ينال عقابه الذي يستحقه وكذلك ما لمحناه في الاعتقاد بالشخصيات المساعدة، سواء كانت لها القدرة السحرية أو المعرفية وما لها من قوة عجيبة في تخطي الأزمات والمعضلات، فهنا الثقافة تبعا لها، نجد أنها تخضع المرأة "لونجا" ناهيك عن اضطهادها أمر ضروري يخدم سنة الاختلاف داخل النظام الثقافي الاجتماعي ولذلك فإن إعادة تشكيل الطبيعة في هذه الحكاية تمثل في العنصر الثقافي وإعادة صيغة نظام إجتماعي جديد، يتمحور على الذكر[2]، كذلك نجد في الصراع بين الخير والشر وحفظ النوع وحفظ الذات من قبل لونجا، فبالرغم من طغيان الشر فإن الخير ينتصر في نهاية المطاف، كما نلمح مظاهر التكافل الإجتماعي، وهو مظهر ثقافي ومع ذلك لا نستطيع تصنيف حكاية" لونجا" ضمن الثقافة العربية الإسلامية، لأنه لا دليل لإنتمائها لهذه الثقافة رغم أنها تروى في مجتمعات عربية إسلامية، ممَّا يوحي إلينا بالنزعة الإنسانية العامة للحكاية، خاصة وأنها تتناول مظهر أنثربولوجي، فالمهم هو النظام الاجتماعي وعلاقات القرابة، وهو شيء إنساني عام وغير مختص بأي دين آخر.

[1]– فاطمة فوناس،المصدر السابق .

[2]–عبد الحميد بورايو، المرجع السابق ، ص 151–152.

المبحث الثاني: الدراسة الاثنولوجية لحكاية لونجا

تعنى الدراسة الأثنولوجية بالبحث في الرّواسب الثقافية والملامح الرمزية المضمرة ضمن نسيج الحكاية الخرافية، وكيفية تداخلها مع الثقافات الأخرى، لتشكل تنوعا ثقافيا داخل نص الحكاية، فيقوم الباحث الأثنولوجي بإستكشاف وتحليل نص الحكاية وتأويل هذه العناصر وإحالتها إلى ثقافتها الأصلية.

المطلب الأول : مستوى الرواسب الثقافية

1- زواج المحارم :

لطالما كان الزواج يتم وفق مجموعة من المبادئ والمعايير التي تجمع بين أفراد المجتمع أو غالبيته تحدد سلوكات معينة تكون سليمة، محترمة مؤدبة مثيرة للإعجاب ..، أو بالعكس كأن يكون شيء غير مؤدب موجب لتوبيخ وهذه المعايير تختلف من مجتمع لآخر وخاصة من ثقافة إلى أخرى، وتستمد هذه الأخيرة من الدين والقوانين الوضعية، التي يبنيها البشر لصالح مجتمعاتهم والعرف والموروث الشعبي المتداول عبر الأجيال، وتكون متغيّرة حسب سلم ينظم علاقاتها وأولوياتها، فنشاهد في الحكاية مجموعة معتبرة من الظواهر تكون إلى حد ما غريبة، وغير منطقية مقارنة بالعادات والقيّم والمعتقدات التي ينص عليها المجتمع الإنساني حيث يقول ماليونوفيسكي:"أنَّ هذه الظاهرة موجودة عند الإنسان بفضل إنتقاله من الطبيعة إلى الثقافة لأنَّ الحيوانات لا تعرف هذا التحريم"[1]، حيث نجد ضمن نص حكاية "لونجا" زواج الأخ بأخته، وموقف مجتمع الحكاية- المتمثل في الأسرة الأب والأم- "...وْكِيفَ شَافْ هَاكْ الْشَعْرَه قَسَمْ بِمِينْ، غِيْرْ الْطُفْلَه اللِي شَعَرْهَا طُوِيلْ قَدْ الْشَعْرَه هَذِي غِيْرْ نَخُضْهَا حَتَى كُونْ تْعُودْ لُونْجَا بِنِتْ أُمِي"[2].

ومن المعروف أن من طبيعة النفس البشرية التأثير بالغرائز التي تسيطر على سلوك الإنسان وتؤدي به إلى الإنحراف عن الفطرة السليمة، كما حصل مع أخ "لونجا" إذ لم يجد من الوازع ما يضبط سلوكه والآلية التي تحقق الرقابة على الفرد والمجتمع من أجل إستقراره وإستمرارية الجماعة الشعبية وهذا ما يسمى بعملية الضبط الإجتماعي، ويعد هذا النوع من

[1]-B-Malionowski,La sexualité dans les sociétés primitives,pp146-147.

[2]-فاطمة فوناس، المصدر السابق .

الزيجات من رواسب ثقافات قديمة نجده عند الأنكا في البيرو، أوعند المصريين القدامى وفي مملكة هواي القديمة[1].

ولقد شاعت ظاهرة الزواج داخل الأسرة الواحدة بين الملوك أو بين عامة الناس، فحدث أن تزوج الأخ والأخت بشكل متكرر خلال الفترة التي سيطر فيها الرومان على المصريين (30 ق.م و395م) لكنها كانت نادرة في الفترات الزمنية السابقة وفق السجلات القديمة ومن أمثلة الحكام المصريين الذين تزوجوا من أخوتهم: "سنوسرت الأول" (حكم بين1961-1917 ق م) الذي كان متزوج من أخته "نفرو" و"أمنحوتب الأول" حكم(1525-1504ق م) الذي كان متزوج من أخته " أحمس مريت آمون " و" كيلوبترا السابعة " حكمت بين (51-30 ق م) والتي كانت متزوجة من شقيقها "بطليموس الرابع عشر" وهذا محاكاة لأسطورة " أوزريس" و" إيزيس " اللذين كانا متزوجين من بعضهما[2].

وهذه من الرواسب الوافدة إلى منطقة سوف عن طريق الإحتلال الروماني لمنطقة شمال إفريقيا .

وفي المقابل ندرس في هذه الحكاية المرأة "لونجا" التي وقع عليها الظلم بسبب زواج المحارم والتي تظهر في بداية القصة بصورة المرأة الهادئة الآمنة، فجأة يصدر في حقها الزواج من أخيها والخروج عن العرف، وتجسد ذلك من خلال المحاورات التي دارت في الحكاية تبرر موقفها إتجاه هذا العرف الفاسد – فلجأت للحيلة بمساعدة أخيها الصغير والهروب من هذا الزواج" وْنَهَارْ عِرِسْهَا وَصَّتْ خُوهَا الْصِغِيرْ" وْقَالْتْلَه: أُهْرُبْ بِالمُشْطَة وَكِيفْ يَلَحْقُوكْ قُلِلْهُمْ مَا نَعَطِيهَا لِحَتَى وَاحِدْ غِيْرْ لُونْجَا أُوْخَيْتِيْ"[3]؛" ...قَالْتِلْهُمْ هِي تَوْ نْرُوحْ نَايَا انْجِيْبْهَا..."[4]؛" وخُلْطَتْ عَلِيْه وَهُرْبَتْ هِي وإِياهْ وْطُلْعُو فُوقْ رَأْسْ الجِبَلْ وْعَادَتْ تُطْلِبْ فِي رَبِي حَتَى طَلَعْ بِيهَا هَاكْ الْجِبَلْ..."[5].

---

[1]– أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا(علم الإنسان)، ص 84.

[2]– موقع سوريا ، //:Syria tv.WWWRhps،تاريخ النشر:2023/08/27 الساعة 16:21 دمشق، تاريخ الإطلاع: 21 مارس 2024، الساعة 12:43 .

[3]– فاطمة فوناس، المصدر السابق.

[4]– المصدر نفسه .

[5]– المصدر نفسه .

فالتصرف الذي خلصت إليه بطلة حكايتنا– "لونجا" – وهروبها من هذا الموقف المسيء والمشين حسب نص الحكاية، والذي يمثّل جبروت السلطة البطرياكية – الزواج المفروض عليها من طرف أخيها دون معارضة والديها– فموقفها بمثابة الحفاظ على سلامة النوع البشري حتى لا تعم الفوضى، ويسود النظام في الجماعات الإنسانية.

2– تعدد الزوجات:

إنَّ صورة تعدد الزوجات في أغلب الحكايات الخرافية، صورة قائمة على الصراع والإستحواذ على الزوج والكراهية بين الزوجات، ونادراً ما نجد العلاقة بينهن طيبة، وعلاقة احترام ومحبة ونظرا للغيرة والحسد، والمكائد التي تحاك بينهن، ويظهر ذلك جليا في حكاية لونجا بزواجها من السلطان الذي كانت له عدة زوجات، وكيف استغللن غيابه وغررن بها حيث قالت : إحدى زوجات السلطان لـ: "لونجا" " ....أَفَتْحِيْ هَذِيْكْ الْدَارْ رَاهُو السُلْطَانْ مْدَرَقْ عَنِكْ يَاسِرْ حَوَايِجْ فِيهَاْ، حَتَى تْوَسُوْسِتْ لُونْجَا وَفَتْحَتْ الْدَار أوْ مْنِينْ فِتْحَتْهَا دَزَتْهَا ضَرَتْهَا فِي الْدَارْ وْسَكَرَتْ عَنْهَا الْبَابْ ..."[1].

وممّا يبدو لنا أن تعدد الزوجات كان أمرا عاديا وجاريا به العمل في الأديان والحضارات القديمة ففي الحضارة الفرعونية أن "رمسيس الثاني" تزوج بالكثير من النساء لعلّ أشهرهن الملكة الجميلة "نفرتاري" و"أيست نفرت" و "ماعتنفرورع" إبنة ملك الحيثين "حاتوتسيلي الثالث" وقيل أنه تزوج بثمان أخريات بالإضافة إلى عشرات المحظيات والجواري.

وأما في الديانات الهندوسية فيكفي أن الإله الأسطوري "راما" زوج "سيتا" له كثير من الزوجات وهذا داخل ضمن التقاليد الملكية آنذاك.

وعند اليهود في توراة العهد القديم؛ فالنصوص مستفيضة عن أخبار الأنبياء نذكر على سبيل المثال أن نبي الله سليمان عليه السلام كان له حوالي ألف زوجة وجارية وداوود عليه السلام كان له العديد من النساء والجواري[2].

وفـي الديانـة المسيحية لا يوجد في إنجيل العهد القديم نص واحد يحرم تعدّد الزوجـات

[1]– فاطمة فوناس، المصدر السابق .

[2]– الحبيب العباس، تعدد الزوجات في الأديان والحضارات القديمة، شبكة الألوكة، تاريخ النشر:2017/04/13، تاريخ الإطلاع يوم:04 أفريل على الساعة: 10:20 .

ومنهم الملك "شارل ليمان" فقد إعترف بأربع زوجات وهي " دسدراتا" و"هلد جارد" و"فستدرادا" و "ليوبتجارد"[1].

وأمّا المرأة عند الفرس كانت سلعة تباع وتشتري لا وزن ولا قيمة لها، وكان التعدد من الأمور المنتشرة بكثرة إستنادا إلى النصوص الزرداشتية* ويقول المؤرخ " ويل ديورانت " "ولم يكن القانون يشجع البنات على أن يضللن عذارى ولا العزاب على أن لا يبقوا بلا زواج ولكنه كان يبيح التسري وتعدد الزوجات، ذلك أن المجتمعات الغربية في حاجة ماسة لكثرة الأبناء"[2].

وفي الحضارة الرومانية الأصل عند الرومان الإكتفاء بزوجة واحدة إلا أنّ الملك "فالنتاين الثاني" أصدر مرسوما في إباحة التعدد ولا يروي لنا التاريخ أي إستنكار قام به الأساقفة أو رؤساء الكنائس الرومانية ضد أمر الملك "فالنتاين" الذي خالف تقاليد الرومان المعمول بها[3].

تشير الأبحاث الإنثربولوجية أنّ ظاهرة تعدد الزوجات تحقق الخصوبة حيث أنه يساهم في حفظ النسل واستمرار النوع البشري بإنجاب العديد من الأبناء مما يضمن لكل إمرأة حظ أوفر في الزواج والإنجاب.

---

[1]– الحبيب العباس، المرجع السابق.

*- الزرداشتية : هي إحدى الديانات المجوسية ظهرت في بلد فارس قديما، وكانت الديانة الرسمية للإمبراطوريات الأخمينية و البراثية والساسانية وتقوم على تقديس النار.

[2]-وليام جميس ديورات، قصة حضارة، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ط)،(د ت)،ج2 ص 184 .

[3]– مبشر الطرازي الحسيني، المرأة وحقوقها في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د ط)، (د ت)، ص10.

المطلب الثاني :مستـــــوى الرمـــــــــوز.

1- رمزية الجبل :

تتجلّى صورة الجبل في قيمته المعنوية(السند) والجبل رمز التحدي والقوة، والخلاص وإستجابة لمناصرة الحق والدفاع عن الأرض(المرأة) وهو مهرب ومسلك لنجاة وإتخذه الهاربون ملجأ في قصص كثيرة قال تعالى ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾(فصلت : 10)، وهذه الآية تظهر مدى أهمية الجبل على الأرض وثباتها لكي لا تميد، كما اعتصم به أصحاب الكهف عند هروبهم من الملك الظالم في القصة المذكورة في القرآن الكريم لأصحاب الكهف ومن خلال الحوار الذي دار بين لونجا وأفراد أسرتها المتمثلة في (أبوها- أمها – أخوها)؛ وهي على رأس الجبل من أجل إقناعهم بأن هذا الزواج من أخيها خطأ، وأنّ هروبها من إنتهاك الحرمة هو الصحيح حيث يقول أبوها عند حواره لها "يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال" رَدَتْ عَلِيْه وْقَالِتْلَه:"....مْنِينْ كُنِتْ بَايَانْ دَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ عَمِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ" وْكِيفْ جِتْهَا أُمْهَا قَالِتْلَها:"... يَا لُونْجَا يَا بِنْتِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال..." رَدَتْ عَلِيْهَا وْقَالِتْلَهَا:"...مْنِينْ كُنِتْ مِيمْتِي نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَي مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ عْمِيمْتِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ" وبَعِدْهَا زَادْ جَاهَا خُوهَا قَالِلْهَا:"...يَا لُونْجَا يَا بِنْتِ أُمِي دَرْبِيْلِي سَالِفْ الْدِلَالْ نَطْلَعَ مْعَاكْ لْرُوسْ الْجِبَال..." رَدَتْ عَلِيْه وْقَالِتْلَه"...مْنِينْ كُنِتْ خُويَا نْدَرْبِيلِكْ سَالِفْ الْدِلَالْ تَطْلَعَ مْعَايَا لْرُوسْ الْجِبَال وْكِيفْ عُدْتْ رَاجْلِي أَطْلَعْ بِيَا يَا جِبَلْ أَطْلَعْ..." [1].

وتظهر صورة الجبل كوسيلة ساعدت البطلة على الهروب والتخلص من أهلها"... وْعَادَتْ تُطْلِبْ فِي رَبِي حَتَى طَلَعْ بِيهَا هَاكْ الْجِبَلْ..."[2].

ويمكن اعتبار هذا النوع من السحر مستجلباً لقوى الطبيعة والاستعانة بها للخلاص والهروب ومناصرة الحق(انتهاك حرمة النظام الإجتماعي) فاستعانة بطلة الحكاية بالله وإتخذت الجبل كوسيلة مساعدة لها؛ لأنه يمثل في هذا الموقف الطبيعة التي تستجيب لمناصرة الحق؛ يحيلنا إلى راسب ثقافي يتعلق بالأسطورة السومريّة؛ إذ تحكي الأسطورة أن

---

[1]- فاطمة فوناس، المصدر السابق .

2- المصدر نفسه.

السماء كانت متزوجة من الأرض ثم أنجبت الأرض أثناء الالتصاق الأبناء وهم الشمس والنجوم وبعدها كان الانفصال[1].

وفي مطلع الأسطورة السومرية نجد الإشارة إلى هذا الإنفصال الكوني العظيم عند بدء الخلق:

إن الله الذي أخرج كل شيء نافع .

أنليل الذي أنبت الحب والمرعى.

أبعد السماء عن الأرض.

وأبعد الأرض عن السماء[2].

فبطلة الحكاية عندما لجأت للجبل وهي القطعة البارزة من الأرض فهي بذلك تستدعى الأم الأسطورية(الأرض)، أي أن المرأة مثلها مثل الأرض إذا إهتممت بها وزرعتها ستعطيك كل الخيرات وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة إذا وجدت الحب والوفاء والإطمئنان ستنشأ أسرة متكاملة ومتماسكة ذات نظام إجتماعي منتظم.

2- رمـزيـــــة التحـــول و المسخ :

عرفت المعاجم العربية و الغربية ظاهرة التحول والمسخ بأنها الانتقال من الشكل الإنساني إلى الشكل الحيواني كما جاء في لسان العرب لابن منظور "المسخ" هو تحويل صورة إلى صورة أقبح منها [3].

ونجد من المعاني في الأساطير وحكايات المسخ تدل على التحول والإنتقال من صورة إلى صورة أقبح منها؛ فمسخ الإنسان إلى حيوان أو جماد أو بنات أو العكس؛ ويكون هذا المسخ كنتيجة لعقاب من طرف الآلهة أو تحت تدخل الكثير من الوسائل خاصة السحرية التي تمارس ضمن طقوس خاصة تعطي للمسخ والتحول صفة العجائبية، فيشكل التحول والمسخ السمة البارزة لمختلف الأشكال التعبيرية عند الشعوب البدائية الأولى وخاصة

---

[1]- نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص 24.

[2]- ينظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى،(دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين)، دار الكلمة، ط 11، دمشق، (د ت)، ص 35.

[3]- ابنمنظور، لسان العرب،تح:عبد الله الكبير و مجموعة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، مج 03، ص 55.

ما ارتبط منها بالأساطير والحكايات الخرافية التي تحكي عن الآلهة، وأنصاف الآلهة وحياة الإنسان والحيوان وثقافاتهم وعقائدهم الأسطورية التي تجمعهم، وهذا ما لمسناه في نص حكايتنا "....قَالِلْهَا خُوهَا رَانِي عُطُشِتْ، وْشَرَبْ مِنْ هَالْبِيْرْ قَالِتْلَه:هَذَا بِيْرْ لُحْصُنْه مَاتَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْ حْصَانْ ورَاحُو يْمْشِوْا حَتَى عَرَضْهُمْ بِيرْ آخَرْ قَالِلْهَا نَشْرَبْ قَالِتْلَه هَذَا بِيرْ لُغْزْلَهْ مَاْ تَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْ لِي غْزَالْ، نَحَى صَبَاطَهْ عِنْدْ هَاكْ الْبِيرْ، وْمِشَوْا شْوَيْ وْقَالْ لِأُخْتَهْ خَلِينِي نَرْجَعَ نْهِزْ صَبَاطِي، قَالِتْلَهْ: رُوحْ أُوْرُدْ بَالَكْ تِشْرُبْ، وْرَاح وْشِرَبْ وْكِيْ شَرَبْ مْنْهَا وَلَىْ غَزَالْ وْجَاهَا كَنْ غَزَالْ..."[1].

فالتحول في هذا الموقف نتج عن قوة متمركزة لهذا النبع وهي قوة مجهولة وهذا ما يذكرنا بالنبع (العين) التي شربت منها بغلة هارون الرشيد في حكاية هارون الرشيد وإبتلعتها لمدة سنوات ثم لفظتها سالمة[2]؛ فالمسخ هو قناع حيواني لنفس الإنسانية ولو لفترة معينة[3].

والإعتقاد الراسخ للإنسان البدائي وحتى اليوم بطوطمية*؛ بعض الحيوانات وإعطائها مرتبة القداسة، وهذه القداسة الشخصية ناجمة عن واقع أن الإنسان يعتقد أنه إنسان لمعنى العادي للكلمة، وهو في الوقت عينه حيوان أو نبات من النوع الطوطمي، ووجدت فكرة المسخ كذلك في الحضارات القديمة؛ ففي أسطورة "جلجامش" وحب الآلهة "عشتروت" ورفضه هذا الحب لأنها جلبت سوء المصير لمحبّيها فأحدهم كان راعيا مسخ طائرا مكسور الجناحين والآخر مسخ في صورة أسد والثالث مسخ في صورة ذئبا وأما الأخير فمسخته على صورة عقابا[4].

فحيثيات مسخ أخ لونجا الصغير إلى غزال في الحكاية جاءت مرتبة وعادلة؛ فمخالفته العهد الذي أخذه بأن لا يشرب من هذا النبع (الْبِيْرْ) كنتيجة حتمية للحفاظ على الذات البشرية من الهلاك ولو بالمسخ إلى حيوان .

---

[1]– فاطمة فوناس،المصدر السابق.

[2]– محمد عزوي، الرمز ودلالته في القصة الشعبية الجزائرية، دار سيم للنشر، ط1، الجزائر،2003، ص 154.

[3]– البشير سواكر وزهية طراحة، المرجع السابق،ص187.

*- الطوطمية: ديانة بدائية مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية بموضوع طبيعي يسمى طوطم يمكن أن يكون طائرا أو حيوانا أو نباتا أو ظاهرة طبيعية مع إعتقادالجماعةبالإرتباط به روحيا، وكلمة طوطم مشتقة من لغة الأبجوا الأمريكية الأصلية.

[4]– ينظر، فريديريش فون ديرلاين، المرجع السابق، ص 162 .

فمسخ إلى غزال كعقوبة مخففة رغم تحذير أخته له كنتيجة حتمية لإرتباط الطبيعة مع الإنسان منذ القدم، فالماء والطعام غذاء يشترك فيه الإنسان والحيوان سواء للحفاظ على النفس من الهلاك ولو بنقض العهد بعدم الشرب، يعد الحيوان قرين الإنسان وتكون الشراكة بينهما وثيقة لدرجة أن مصيرهما في كثير من الأحيان مشترك، فلا شيء يمكن أن يمس أحد هما من دون أن يعاني الآخر آثاره.

3- رمزية حيوان الغـزال :

نجد أن ذكر الغزال في الحكاية الخرافية مرتبط بالبقايا الأسطورية والسحرية فرمز الغزال ليس صدفة بل هو معتقد شعبي بأنه حيوان جميل محاط بالألغاز والأسرار وربما كان الأمر هو سرعة الحركة وخفتها، وبالنظر إلى مسار الحكي نجد أن الولد مسخ إلى غزال فيه نوع من الظرافة، فالقاص الشعبي أراد أن يعطينا صورة لرمزية الغزال وهي الإستمرارية والعيش عكس بعض الحيوانات الأخرى فالغزال يستطيع العيش مع الإنسان أينما حل وإرتحل، كما يرمز إختيار حيوان الغزال دون غيره إلى الإنسجام الجمالي مع جمال لونجا فمثل وحدة الموقف وإنسجام الشكل .

4- رمزية الألوان والطعام :

أمّا عن رمزية الألوان"...شَافُوْا مِنْ بِعِيْدْ عُرْمَةْ بِيْضَاءْ وْعُرْمَةْ حَمْرَاءْ ..."[1]؛ فالعرمة البيضاء (الملح) يشير لون البياض إلى النقاء والصفاء والمكانة الإجتماعية. فعند الفراعنة يمثل اللون الأبيض لون الكتان الذي يرتديه الملك.

أمّا الطعام فلطالما كان للملح أهمية في الأديان والثقافات ففي طقوس اليونان كان يرش مع الدقيق على جميع الأضاحي، وأمّا في الأساطير الإسكندنافية ولدت الآلهة من كتلة جليدية ذات طبيعة مالحة وعرف عن الحيثين اللذين استّوطنوا شمال الأناضول فترة ما بين:(1700-1500قم)، وهي الفترة الأولى وبين (1400-1200ق م) وهي الفترة الثانية حيث أنهم بجَّلوا إله الملح ووضعوا له تمثال وكان على كل جندي جديد أن يقسم بالملح (الرمز المقدس) معلنا ولاءه للجيش؛ وأما عند طقوس "الشنتو" وهي ديانة يابانية الأصل يستخدم الملح عندهم لتنقية حلقة المباراة قبل إندلاع القتال وذلك لتبديد الأرواح الحاقدة .

[1]- فاطمة فوناس، المصدر السابق.

وأما البوذيين يستخدمون الملح كتبديد الأرواح الشريرة وبالتالي يعتقد أن رشة منه على الكتف الأيسر بعد مغادرة الجنازة تمنع الأرواح الشريرة من دخول منازل المعزين وعن رمزية العرمة الحمراء (التمر) فيعبّر الأحمر عن الدفئ والحب والأحاسيس القوية وهو ينطبق على تلك المشاعر التي تكنها "لونجا" ومعبّرة عن موقفها في الحكاية، وقد إرتبط اللون الأحمر عند الرومان بآلهة الحرب، وأما عند الفراعنة فارتبط بأسطورة هلاك البشر فهو يعتبر رمز القوة والغضب[1].

5- رمزية المنابع المائية :

لطالما كان الماء عصب الحياة وأساس نشوء الحضارات عبر التاريخ، فأقيمت تلك الحضارات على ضفاف الأنهار مثل حضارات بلاد الرافدين والحضارة المصرية على ضفاف وادي النيل، ففي كثير من الثقافات القديمة ظهر الماء كمصدر لنشأة الحياة فظهرت أساطير على الإغتسال أو شرب ماء نهر أو ينبوع ماء معين فهي مياه لها صفات عجائبية تمنح لشاربها الخلود أو تكون سببا في حلول اللعنة على من يشرب منها كما جاء في معرض حكايتنا"...قَالِلْهَا خُوهَا رَانِي عُطُشِتْ، وْشَرَبْ مِنْ هَالْبِيْرْ" قَالِتْلَه: "هَذَا بِيْرْ لُحْصُنْهْ مَاْتَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْ حْصَانْ ورَاحُو يْمْشِوْا حَتَى عَرَضْهُمْ بِيرْ آخَرْ قَالِلْهَا نَشْرَبْ قَالِتْلَه هَذَا بِيرْ لُغْزْلَهْ مَاْتَشْرَبْشِي عْلَاشْ تْعُودْلِي غْزَالْ "[2].

ومما يبدو لنا أن هذه الأماكن المائية هو مواقع مقدسة في الذاكرة الإعتقادية في الفكر الشعبي، والمقدس محمي بقوى غيبية وهذا القوى تلحق الأذى بمن حام حولها أو بجوارها.

ولازال هذا الإعتقاد موجود في المعتقدات الشعبية، حول بعض الأماكن كالكهوف والمغارات وبعض الأشجار وينابيع المياه على أنّها أماكن تسكنها كائنات مخفية صالحة" فحمام الصالحين" مثلا المتواجد "الجزائر" (قالمة) وتحظى هذه الأماكن بالإحترام والتقدير عند كثير من الناس كما تقدم لهذه المواضع الشموع والبخور وربما كانت هذه التصوّرات ذات صلة بشكل العقيدة الطوطمية، ومن الممكن حق أن يكون الطوطم نباتا أو ظاهرة طبيعية، وهذا ما يمكن أن نفسر له أن هذا الموقع المائي الذي يخفي قوة تصيب كل من يقترب منها وهذا ما

[1]- كمال عبد الملك، الملح في الفولوكلور، موقع الإمارات اليوم، تاريخ النشر12 ماي 2023، تاريخ الإطلاع:1 ماي 2024، الساعة 19:33 .

[2]- فاطمة فوناس ،المصدر السابق.

وجدناها في نص الحكاية " ...نَحَى صَبَاطَهْ عِنْدْ هَاكْ الْبِيرْ، وْمِشَوْا شْوَيْ وْقَالْ لِأُخْتَهْ خَلِينِي نَرْجَعَ نْهِزْ صَبَاطِي[1]، وإن كان النص ببراءته ترك الموقع ولم يعد إليه بل أنصب على الطفل المحول ضمن الدائرة التي تحياها أخته فعاش فترة زمنية معينة في شكل حيوان لكن بإحساس إنسان[2].

ويمكن إعتبار هذا التحول هو نتيجة عقوبة بدون ذنب لأن الطفل لم يتعمد الإساءة لهذا المكان المقدس أو المحرم فوقع له ما وقع؛ ففكرة قداسة المنابع المائية ومالها من قدرة عجائبية في المعتقد الشعبي موغلة في القدم؛ ففي الأساطير اليونانية القديمة يذكر أن الموتى يشربون الماء من ممر مائي يدعى" ممر النسيان" ليفقدوا ذكرياتهم القديمة وينعموا بحياتهم الجديدة.

وفي بلاد الرافدين تقول الأسطورة لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة تمثل أشكال مختلفة من الماء و ظواهره : فـ "أبسو" إله الماء العذب و " تعامن" زوجته هي إلهة الماء المالح أما " مامور" فهو إله الأمواج المتلاطمة النائشة عن المياه الأولى.

وفي الأساطير الفرعونية لم يكن في البدء سوى بحر هائج يحتوي بداخله كافة الآلهة الخيرة والشريرة، ثم خرج "رع" الشمس المشرقة وأنجب الكون وموجوداته[3].

فساهم الماء في إستقرار تلك التجمّعات البشرية التي إستقطبتها وجود المياه، مما أعان على إقامة المجتمعات وإرساء أسسها من خلال نشوء الحواضر السكانية بالقرب من الموارد المائية الطبيعية تشمل كل نظم الحياة من زراعة وصناعة وتجارة، وتربية الحيوانات وهذا مما يساهم في حفظ الذات البشرية.

ولما كان الماء عنصر هام في حياة الكائنات الحية ساد الإعتقاد الشعبي فيه أنه يتمتّع بصفات مقدسة؛ تمثّلت في القوى السحرية في التأثير المباشر على حياتهم فتسلحوا الحكايات العجيبة والخرافية على منواله ووظفوا فيها مظاهر القوى الغيبية والسحرية؛ التي يعتقدون فيها ويؤمنون بها، فمثلت هذه الجزئيات عنصر حفظ المقدس في الذاكرة الشعبية.

---

[1]– فاطمة فوناس ،المصدر السابق.

[2]– محمد عزوي، المرجع السابق،ص54.

[3]– محمد فخر الدين،الماء بين القانون والبيئة والإنثروبولوجية، موقع كاش بريس، تاريخ النشر:23 فبراير2024، تاريخ الإطلاع:03 ماي2024، الساعة 10:20.

6- رمـــزية الثـــــــعبان :

يعتبر الثعبان من أهم رموز الخيال البشري، إذ تكشف لنا الميثولوجيات العالمية إستمرارية الرمزية الثعبانية وتعديها منذ العصور القديمة إلى غاية العصر الحديث وفي مختلف الحضارات ومن أهم ما يجدر ذكره هو تناقض دلالاته أحيانا حتى داخل الحضارة الواحدة، حيث يمكن أن يرمز هذا الحيوان للقوى الشريرة والضارة من خداع وسحر وشؤم كما يمكن أن يرمز للقوى الخيرة والنافعة وفي معرض حكايتنا قد ورد ذكر الثعبان " ... وْكَانْ عِنْدَه دَارْ فِيهَا الْثَعَابِينْ دَوَّرْهَا الَسُلْطَانْ عَنْ الْقَصْرْ وْقَالِلْهَا :الَدْيَارْ الْكُلْ أَفَتْحِيهُمْ وْغِيرْ هَذِي الَدَارْ مَتَفَتْحِيْهَاشِي" وترد عليه لونجا:"وِلْدْ الَسُلْطَانْ فِي حِجْرِي، وِالْثُعْبَانْ مِتْوَسْدْنِي"[1].

يثير محل الشاهد من حكاية لونجا أنّ الثعابين تعتبر كرمز مقدس للقوة والخصوبة ولاسيما إذا إرتبط ذكره مع الملوك والسلاطين لأنَّ في إعتقاد ساد قديما أنها تدفع الأرواح الشريرة والأخطار المحدقة عنها وهذا ما جعل سلطان الحكاية له غرفة خاصة في قصره يمتلك هذا الثعبان، ويعد هذا الفكر المنسوج حول رمزية الثعبان كراسب ثقافي قد ورد ذكره في الأساطير والحضارات القديمة.

فعند الفراعنة يحتوي مجمع الآلهة فيها أكثر من ثلاثين إله، مرتبطا بإحدى أنواع الثعابين خاصة الكوبرا المقرنة، كما قاموا بتحنيط الثعابين، حيث أن المصريون مفتونين بهذا الحيوان البري الذي يغير جلده كل سنة فكثيرا ما برزت صور رؤوس الملوك وهي مزينة بالحيات المقدسة الكوبرا (uraeus) التي إعتبرت رمزا للإنتصار على قوى الشر والتي تحمي الملك من القوى المؤذية والخفية ورفيقة إله الشمس "رع"[2].

وتعدّدت وتنوّعت رمزية الثعبان في الثقافات الأخرى ففي الحضارة السومرية إرتبطت ملحمة "جلجامش" برمزية الثعبان لمعالجة مشكلة الموت والبحث عن الخلود الذي لازم النفس البشرية بشكل دائم وكان هذا الحيوان في المخيال السومري رمز للشر والذكاء.

وفي بلاد " آشور" صورت بعض الآلهة وهي تخنق الثعابين بيديها لإنتصارها على القوى المؤذية [3].

---

[1]– فاطمة فوناس، المصدر السابق.

[2]– سليم سعيدي، الثعبان ودلالاته في المغرب القديم، مجلة مدارات تاريخية، مج 2، العدد 4، ديسمبر 2020، ص 176.

[3]– فيليب سرينج، الرموز في الفن – الأديان – الحياة –تر:عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق،سوريا، ط1992،1 ص 132.

وعلى الرغم من كون الثعابين حيوانات مؤذية ومخيفة فقد نظرت إليها الشعوب القديمة نظرة خيرة لأن الثعبان يعرف عنه مصدرا للسم والترياق في آن واحد أي الداء والدواء فكما له القدرة على الضرر، والترياق يوحي بقدرته على تحقيق الشفاء وتجديد الحياة، معتقدين فيذلك أنّ الثعابين تجدد شبابها ولا تموت أبدا، وذلك بفضل قدرتها على تغيير جلدها في مواسم معينة وتمتعت بالخلود مقابل حرمان الإنسان منها[1].

ويبدو أنّ هذه المعتقدات بقيت حاضرة في المخيال الشعبي وفي أعماق الوعي الجمعي لمجتمع الحكاية فكانت لها رمزية مرتبطة بالإنبعاث والقوة التخصيبية والضامنة لإستمرارية النسل.

7- رمزية الستوت (العجوز الساحرة) والدبّار :

يشكل الطرفان مصدر المعرفة السحرية القادرة على التدخل من أجل تحويل الكائنات وتقديم الإستشارة اللازمة في مختلف المواقف يمكن التفريق بينهما في إستعمال الطوف الأول "الستوت" معرفتها للإيقاع بالبطلة الضحية ومسخها وإستبعادها وتعزيز الإساءة[2].

فنجد ذكرا للستوت في ثنايا حكايتنا"...وْطَلْعَتْ وْرِقَتْ لُونْجَا لْهَاكْ الَشَجْرَة الْعَالْيَة وَسِكْنَتْ فِيهَا هِي وُوْخَيْهَا الْغْزَالْ فْي النَهَار يَسْرَحَ وْفِي الْلِيْلْ يْجِي يِتْمَدْ تِحِتْ هَاكْ الْشَجْرَة وجَاء الَسُلْطَانْ لِلْوَادْ إِلِي بِحْذَا الْشَجْرَة إِلِي سِكْنَتْ فِيهَا لُونْجَا وْهُو قَاعِدْ يُشْرَبْ مِنْ هَاكْ الَوَادْ حَتَى شَافْ خَيَالْ لُونْجَا الْي فُوقْ الَشَجْرَة فِي الْمَاءْ قَالِلْهَا الَسُلْطَانْ إِنْتِ جِنْس ْ وَلاَ إِنِسْ ٌ قَتْلَه نَايَا وِنِسْ قَعَدْ يْحَالِلْهَا بِشْ تَهْبَطْ، وْمَا هُبْطَتْشِي، مَالَا رَاحْ لِسَتُوتْ بَاشْ تْعَاوْنَهْ وْتَهْبَطْلَهْ بِمَعْرِفَتْهَا وْحِيلِتْهَا، وْجَتْ تِحْتْ الْشَجْرَة هَذِيكْ، وْدَارِتْ بْرُوحْهَا أَتَطَيَبْ فِيْ الْكِسْرَة، وَالْطَاجِينِ مَكْبُوبْ، وْجَابَتْ عَنِزْ وْدَارِتْ رُوحْهَا تِحْلِبْ فِيهَا مِنْ أُقْرُونْهَا وْكِي شَافِتْهَا لُونْجَا مِنْ فُوقْ الْشَجْرَة هَالمَنَظَرْ نُطْقَتْ لُونْجَا وْقَالِتْ لِلْسَتُوتْ مِشْ هَكَا يَا خَالْتِي يِنْصْبُوا الْطَاجِينِ وَرَاكِي تِحْلْبِي فِي الْعَنِزْ مِنْ قْرُونْهَا، قَالْتِلْهَا الْعَزُوزْ يَا بِنْتِي وَرِيلِي رَانِي عَمْيَاءْ مَا نَشْبَحْشِي، هَبْطَتْ لُونْجَا تْوَرِيلْهَا حُكْمَتْهَا الْسَتُوتْ وْقَيَدَتْهَا ثَمْ جِئْ الَسُلْطَانْ وْعَرَضْ عَلِيهَا الَعِرِسْ..."[3]؛ فدور

---

[1]- أيمن عبد التواب حسن، الثعبان بين الأسطورة والرمزعند الإغريق(أطروحة دكتورة)، جامعة عين الشمس القاهرة،2008، ص157.

[2]- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية الأدب الشفوي الجزائري،(دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء- الشكل- الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر،(دط)،(دت)،ص135.

[3]- فاطمة فوناس، المصدر السابق.

الستوت في حكاية لونجا شخصية مساعدة ساعدت السلطان في حل الإشكال، وهو التحايل لإقناع وإنزال "لونجا" من فوق الشجرة وعرض السلطان عليها الزواج مستعينا بالستوت التي لجأت إلى طقوس لإستحلاب عطف "لونجا" البطلة الضحية واستدراجها للايقاع بها مساعدة بذلك السلطان الذي طلب عونها لتحقيق مآله.

فمثّلت العجوز الساحرة دعمها للسلطة الذكورية المغتصبة مساهمة في بث المعلومات الخاطئة التي توقع بذكورة الموجهة في فلك السلطة المغتصبة[1]. وقد إرتبطت فكرة العجوز الشريرة "الستوت" براسب ثقافي في المعتقد الديني الكاثوليكي؛ الذي ساد في القصور الوسطى بأن للنساء قوى خارقة خطرة وأن فيهن شر كامن، فهن خادمات للشيطان يثرن الرعب ويزرعن الفتن، وكذلك إرتبطت بأصول الديانة "الأمومية "عشتار سيدة السحر والشفاء

بينما يستخدم الطرف الثاني(الدبّار) هذه المعرفة بغرض إصلاح الإساءة وإنقاذ البطلة الضحية فقد ورد ذكر الدبّار في حكايتنا " ...وْرَاحْ الَسُلْطَانْ لِلْدَبَارْ وْقَالَهْ مُرْتِيْ مِتْوَسَدْهَا ثُعْبَانْ فِي الْدَارْ دبَرْ عَنِي وِشْ نِدِيرْ، قَالَه الْدَبَارْ دَبَرْ قُعْرَه فِي الْدَارْ مِنْ فُوقْ وِجِيبْ صُقْشَةْ لَحَم وْهَبَطْهَاْ بِالْحَبِلْ، وَاحِدْ يَهْبِطْ مِنْ الفَوقْ وْلُخُرْ يْحِلْ الَدَارْ وْيُخْطُفْهَا هِي وْوُلِدْهَا،وْدَارْ وَاشْ قَالَهْ الْدَبَارْ وْخَرَجْ لُونْجَا ووْلِدْهَا..."[2]؛ فمهمة الدبار في حكايتنا إقتصرت على المشورة وإبداء الرأي الحكيم الذي يتمتع بقدرة خارقة في إدارة المشكلات وحل المعضلات برأيه الرشيد الذي يمثل خلاصة التجربة الإنسانية[3].

وعند رجوعنا إلى نص الحكاية نجد أن السلطان قد لجأ إلى الدبّار كشخصية مساعدة فعرض عليه السلطان المأزق الذي وقعت فيه زوجته "لونجا" وهو عدم إستطاعته تخليصها من الثعبان الذي يتوّسد ركبتها فطلب منه السلطان إفادته بحيلة أو تدبيرة ما، لكي يقوم بتحرير زوجته من قبضة الثعبان فأبدى له الدبّار برأي رشيد فأخرج به زوجته من ذلك المأزق، ونجد هذه الفكرة – ضرورة وجود شخصية يحتكم أو يلجأ إليها العامة وتساهم في إعطاء الرأي والمشورة – قد مثلت راسب ثقافي وجد في المثولوجيات القديمة فعند اليونان

[1]– عبد الحميد بورايو، المرجع السابق، ص 135.

[2]- فاطمة فوناس، المصدر السابق.

[3]– ينظر فراس السواح، لغز عشتار الآلوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، مؤسسة هنداوي للطباعة،(د ط)،2022، ص262.

"أثينا" آلهة الحكمة والمعرفة وحامية الأرض[1]؛ وأما عند الرمان فقد عرفت الإلهة "منيرفا" بإلهة الحكمة [2].

تعتبر الشخصيات أو المساعد (العجوز الستوت ، الدبّار) رمزاً للتعاون والتضامن في المجتمع، فهي تظهر أهمية التواصل والتكافل بين الأفراد لتحقيق النجاح والتغلب على التحديات، كما تمثل تلك الشخصيات قيما إجتماعية تؤدي إلى حفظ الذات البشرية.

[1]– مها محمد السيد: الآلهة والأساطير اليونانية، دار الحضري للطباعة ،الإسكندرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 28.

[2]– أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، مصر،(د ط) ،2021، ص27.

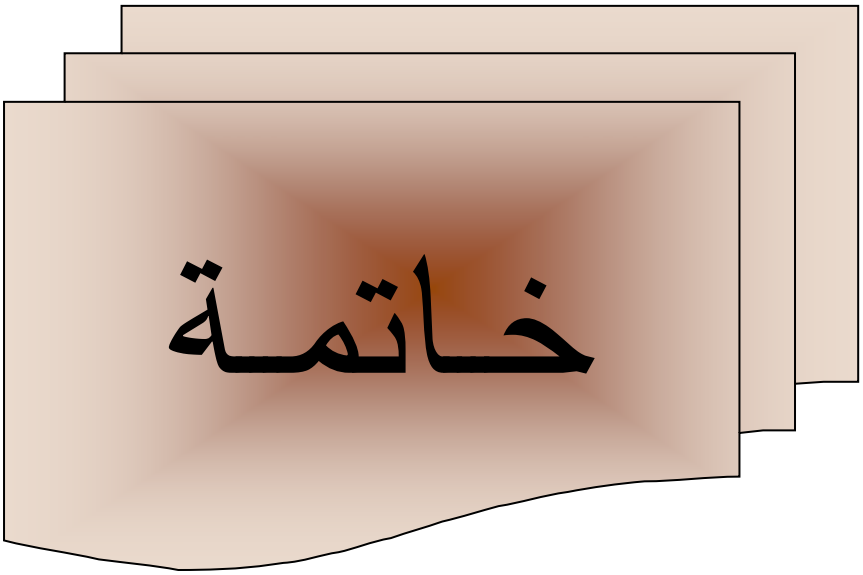
خـاتمـة

هكذا نكون قد اختتمنا دراسة الأبعاد الأنثروبولوجية في حكاية لونجا الخرافية مستخلصين عددا من النتائج يمكننا أن نذكر منها ما بلي:

- تساعد دراسة الأنثروبولوجيا في فهم تنظيم المجتمعات والعلاقات بين أفرادها، بما في ذلك القوانين والقيم التي تحكم سلوكهم.
- تنوع الموروث الشعبي في منطقة سوف وعراقته عراقة المنطقة بحد ذاتها حيث عرفت تعاقب حضارات عديدة من البربر إلى الرومان وبفعل الاحتكاك من تجارة ومصاهرة...، فكل هذا أحدث تنوعا في العادات والتقاليد والطقوس المختلفة المعبّرة عن الأبعاد الاجتماعية والدينية والثقافية.
- تداول هذه الحكايات الخرافية كان عند جنس النساء (الجدّات) أكثر منه عند الرجال؛ الذين يركزون على الأشعار والأقوال الوجيزة وكذلك القصص البطولي كالسير والمغازي..
- تباين آراء الموّردين أنفسهم بين متأثر ومؤمن بالخوارق العجائبية للحكاية وبين من يعتبّرها للتسلية في غياب وسائل التسلية البديلة .
- الحكاية الخرافية تنقل بعض الصور عن الحياة الاجتماعية السوفية قديما، مثل كيفية معاملة المرأة السوفية من طرف الرجل، بفعل عوامل سادت لفترات سابقة ومظاهر إنسانية مختلفة، وصوّرت حتّى العادات الدخيلة على المجتمع المحلي، بأبعادها الثقافية المختلفة.
- قد تكون بعض العناصر في الأبعاد الاثنوغرافية للحكاية "لونجا" لا تنتمي إلى بيئة الحكاية السوفية ويعزى سبب ذلك للتراث الإنساني المشترك الذي يتداول هذه الحكايات وبفعل تداخل نصوصها ببعض.
- من خلال الدراسة الاثنولوجية للحكاية لونجا نستخلص أن هذه الحكاية من جملة التراث الإنساني وذلك للرواسب والرموز التي تتوفر عليها.
- مكنّتنا الدراسة الأنثروبولوجية من الوقوف عند الذوّات الفاعلة التي تحفل بها الحكاية؛ ورصد العلاقة التي تربط بينها .

- وجدنا أسلوب الحكاية قابل للتداول؛ بحيث أنّه قابل للحكي والنقل، فكلما أعيدت روايتها أشبعت بالخيال الشعبي ولهذا نجدها تختلف حكاية "لونجا" في الرواية السوفية عن حكاية "لونجا" في الروايات أخرى .
- توظيف بعض مظاهر البيئة السوفية : كحيوان الغزال والثعبان وعرمة التمر، وعرمة الملح .
- تأثر مجتمع الحكاية "اونجا" ببعض الوثنيات التي تسلّلت إليه كظاهرة زواج المحارم التي تعد دخيلة عليه؛ رغم أ،هـ يدين بالدين الإسلامي ووظفها في متن الحكاية .

وأخيرا خلاصة ما يمكن قوله أن الحكاية الخرافية في وادي سوف تعبّر عن البيئة الصحراوية وتمثيلا لجميع التظاهرات الثقافية من دين وعادات وتقاليد؛ التي تميّز بها الفرد والجماعة السوفية على حد سواء؛ التي لا تخلو من قيم وعادات دخيلة متسللة إلى الثقافة الأصيلة بفعل عوامل تاريخية وثقافية ودينية؛ كل ذلك أدى به إلى تصوير حاله وحال جماعته في الحكايات الخرافية بالنقد تارة وبالمدح والفخر تارة أخرى.

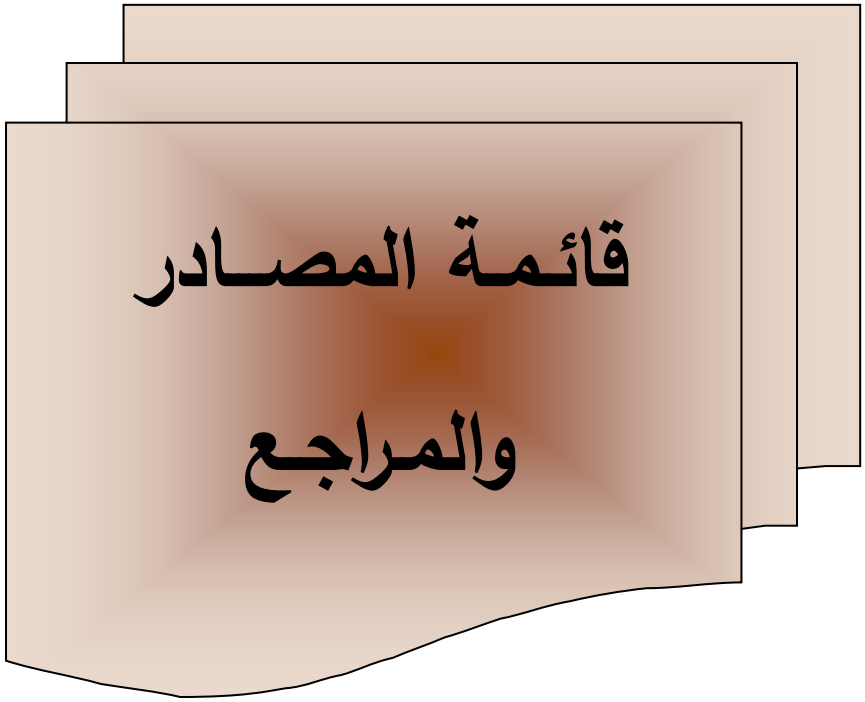
قائمة المصادر
والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق .
- **الموردين :**

– السيدة : فاطمة فوناس، أمية، 88 سنة، الوادي،الجزائر،تاريخ المقابلة 2024/04/01.

- **المعاجم :**

1– ابن منظور، لسان العرب، تح:علي عبد الله الكبير ومجموعة من الأساتذة،دار المعارف القاهرة،(د ط)،1919، مج3 .

2– أحمد مختار عمر، معجم اللغة المعاصرة، القاهرة،(د ط)، 2008، مج 1 .

3– شوقي ضيف،المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق،مصر،(د ط)،2004.

- **الكتب :**

1– إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،تع:الجيلاني بن إبراهيم العوامر،منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2007 .

2– أحمد زغب، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة مزوار،الوادي،(د ط)،2008.

3– أحمد زغب، مبادئ الانثربولوجيا (علم الإنسان)، مطبعة سخري،الوادي، ط1،2012.

4– العربي رابح، أنواع النثر العربي،منشورات جامعة باجي مختار،عنابة،(د ط)،(د ت).

5– أمين سلامة،الأساطير اليونانية والرومانية،مؤسسةهنداوي،القاهرة،مصر،(دط)،2021.

6– بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا،تر:مصباح صمد: المؤسسة الجامعية للدراسات،(دط)،2004 .

7– حسين فهيم، قصة الأنثربولوجيا(فصول في تاريخ علم الإنسان)،عالم المعرفة،(د ط)، 1986.

8– خليفة قعيد،تفعيل الثقافة الشعبية في التنمية المستدامة(نموذج وادي سوف)،سامي للطباعة والنشر والتوزيع،(د ط)،(د ت)،2022.

9– عبد الحميد بورايو،البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري(دراسات حول خطاب المرويات الشفوية) الآداء–الشكل–الدلالة،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،(د ط)، 1998.

10- عبد الحميد بورايو،القصص الشعبي في منطقة بسكرة- دراسة ميدانية-المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(د ط) ،1986.

11- عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، دار المعارف، القاهرة،مصر،(د ط)،(د ت).

12- عبد الرحمان عيسوي،سيكولوجيا الخرافة والتفكير العلمي،مطبعةأطلس القاهرة،(دط)، 1982-1983.

13- عمار عوادي،الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف1918-1957،مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، (د ط)،2011.

14- عيسى الشماس،مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)،منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق،سوريا،(د ط)،2004.

15- فراس السواح، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة،مؤسسة هنداوي للطباعة،(د ط)،2022.

16- فراس السواح، مغامرة العقل ،دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين،دار الكلمة، دمشق،ط11،(د ت) .

17- فريديريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية (نشأتها مناهج دراستها، فنيتها) ،تر: نبيلة إبراهيم ، دار القلم،بيروت،لبنان، ط1، 1973 .

18- فيليب سرينج، الرمز في الفن-الأديان -الحياة ،تر:عبد الهادي عباس ،دار دمشق ،دمشق ،سوريا،ط 1 ،1992.

19- ليلى روزالين قريش،القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،(د ط) ،1998.

20- مبشر الطرازي الحسني،المرأة و حقوقها في الإسلام ،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان (د ط)،(د ت).

21- محمد الجوهري،علياء شكري ،مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا،القاهرة،(د ط)،2007.

22- محمد الصالح بن علي،الموسوعةالسوفية للأمثال والحكم الشعبية ،مطبعة سخري الوادي ،الجزائر،(د ط)،2012.

23- محمد توفيق السهلي،وحسن الباشا،المعتقدات في التراث العربي،دار الجلي، (د ط)،(د ت) .

24- محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون ،الجزائر،(د ط)،1998.

25- محمد عزوي، الرمز ودلالته في القصة الشعبية الجزائرية،دار ميم للنشر،الجزائر ط1،2003.

26- محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي، دار العلوم،(د ط)، 2008، ج1.

27- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي،(د ط) (د ت).

28- مها محمد السيد،الآلهة والآساطير اليونانية، دار الحضري للطباعة،الإسكندرية (دط)،(د ت).

29- نبيلة ابراهيم،أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دارنهضة،القاهرة،مصر،(دط)،(دت).

30- وليم جيمس ديورات، قصة حضارة، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجبل بيروت، ج 2.،(د ط)، (د ت).

المجلات :

1- القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مخبر الإنتماء(تحليل الخطاب)،جامعة تيزي وزو، الجزائر، مج5، ع4، نوفمبر 2022.

2- مدارات تاريخية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر، مج2 ،ع4، ديسمبر 2020.

3- مجلة تاريخ العلوم، المقاربة الأثنوغرافية تعريفها مميزاتها تقنياتها وعلاقتها بدراسة الجمهور،جامعة الجزائر03،ج1،ع2017 .

الكتب الأجنبية :

1 -Andre Voisin_ Le Souf Monographie dune region saharienne _Paris_1985_ Manuscrit_.

2-B-Malionowski(Bronislaw-),La sexualité et sa répression dans les sociétés primitivesvnpar Jean.

3-Russ Jacqueline,Dictionnaire de philosophie,bordas,2004.

الرسائل الجامعية :

أ)- أطروحات الدكتوراه :

1- عبد التواب حسن سيد أيمن ، الثعبان بين الأسطورة والرمز عند الإغريق، أطروحة دكتورة في الأساطير، إشراف علية حنفي حسانين، ايمان على عزالدين اسماعيل، كلية

الآداب ، جامعة عين شمس، القاهرة ، مصر ، 2008.

2- عماري مباركة، اللهجة والمجتمع انعكاس النظم الأجتماعية والثقافية في وادي سوف، أطروحة دكتوراه في تخصص لسانيات عامة، إشراف أحمد زغب، كلية الآداب واللغات ، جامعة حمة لخضر، الوادي ، الجزائر، 2020-2021.

ب)- رسائل الماجستير :

- بن عمر كمال، الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف (جمع وتصنيف ودراسة) مذكرة ماجستير،إشراف معمر حجيج، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر، باتنة ، الجزائر، 2006-2007.

المواقع الإلكترونية :

1- الحبيب العباس ، تعدد الزوجات في الأديان والحضارات، شبكة الألوكة، تاريخ النشر 2017/04/13، تاريخ الإطلاع 2024/04/04 على الساعة:10:20.

2- محمد فخر الدين ، الماء بين القانون والبيئة والأنثربولوجيا، موقع كاش بريس، تاريخ النشر 2024/02/23، تاريخ الإطلاع 2024/05/03 على الساعة :10:20.

3- كمال عبد الملك،الملح في الفولكلور،موقع الإمارات اليوم،تاريخ النشر 2023/05/12، تاريخ الإطلاع 2024/05/01 على الساعة 19:33.

4- موقع سوريا،تاريخ النشر 2023/08/27،تاريخ الإطلاع:2024/03/21 WWW syria TV//RHps:.، الساعة 12:43.

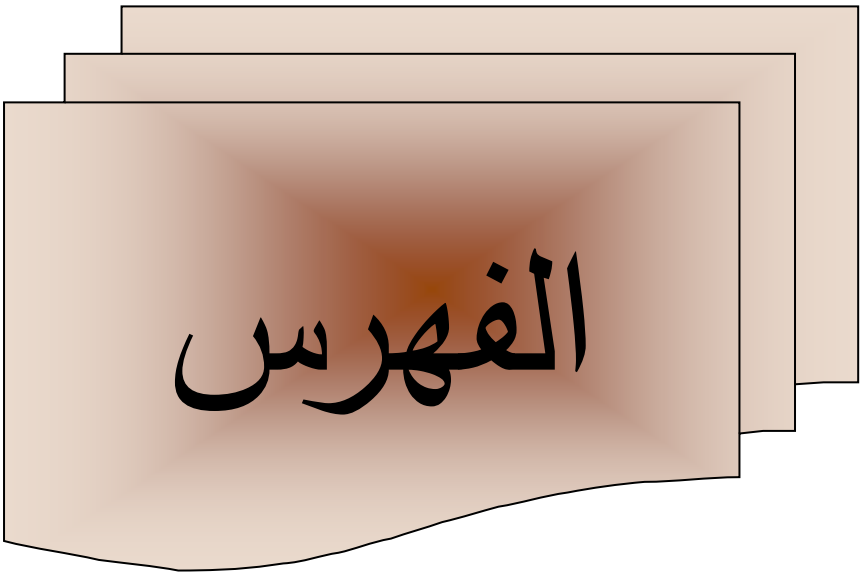
الفهرس

العنـــــــــوان	رقم الصفحة
مقدمة	**أ ـــ د**
مدخل	**6**
الفصل التمهيدي : إيضاحات عامة حول منطقة الدراسة.	**8**
الفصل الأول : الانثروبولوجيا والحكاية الخرافية.	**14**
المبحث الأول : مفاهيم عامة حول الأنثروبولوجيا.	15
المطلب الأول :مفهوم الأنثروبولوجيا.	15
المطلب الثاني: فروع الأنثروبولوجيا.	18
المطلب الثالث : علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى.	22
المبحث الثاني: مفاهيم عامة حول الحكاية الخرافية.	27
المطلب الأول: مفهوم الحكاية الخرافية.	27
المطلب الثاني: خصائص الحكاية الخرافية.	31
المطلب الثالث: علاقة الحكاية الخرافية بالأنثروبولوجيا.	33
الفصل الثاني: حكاية لونجا من المنظور الاثنوغرافي والاثنولوجي.	**34**
المبحث الأول : الدراسة الاثنوغرافية لحكاية لونجا السوفية.	35
المطلب الأول :نص حكاية لونجا كما تروى في سوف.	35
المطلب الثاني: الأبعاد الاثنوغرافية.	38
المبحث الثاني : الدراسة الاثنولوجية لحكاية لونجا.	43
المطلب الأول: مستوى الرواسب الثقافية.	43
المطلب الثاني: مستوى الرموز.	47
خاتمة.	**58**
قائمة المصادر والمراجع.	**61**
الفهرس	**66**
ملخص الدراسة	**68**

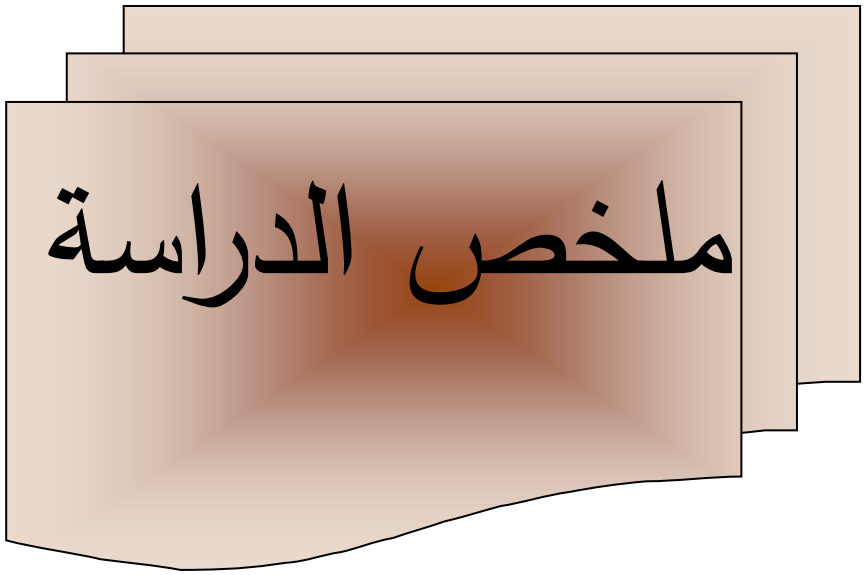
ملخص الدراسة

البحث يرتكز على توثيق وحفظ التراث الشفهي عموماً من خلال تقديم مدوّنة بحثية حول الحكاية الخرافية السوفية "لونجا"، حيث تشكل جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية والذاكرة الجماعية للمجتمعات المحلية في المنطقة، وكانت هذه الدراسة وفق منهجية أنثروبولوجية تمثلت في الأبعاد الأنثوغرافية المضمّرة في الحكاية الخرافية ودراسته أثنولوجياً في مستويين مستوى الرواسب الثقافية والمستوى الرمزي .

وقد مكننا هذا الطرح النظري والتطبيقي من تحديد موتيفات ثقافية مغايّرة للثقافة الأصلية وإظهار مدى إنصهار الثقافات الوافدة وتلبّسها بالثقافة الأصلية .

الكلمات المفتاحية:

الأنثروبولوجيا، الحكاية الخرافية، الرّواسب، الرموز، التراث الشفهي،الإثنوغرافيا، الأثنولوجيا .

Summary

The research focuses on documenting and preserving oral heritage in general by presenting a research database on the Sufi folktale of Longia, as it forms an essential part of the cultural identity and collective memory of local communities in the region. This study was conducted using an anthropological methodology, which involved examining the implicit ethnographic dimensions within the folktale and an ethnological study at two levels: the level of cultural sediments and the symbolic level .

This theoretical and applied approach has enabled us to identify cultural motifs that are distinct from the original culture, and to reveal the extent to which incoming cultures have fused with and been absorbed by the original culture.

Key words:

Anthropology ,The fairy tale, Deposits, symbols, Oral tradition, ethnography, ethnology .